موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤٠)

العدل

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع المكتوبجي بن تنباك
www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موسوعة
القيم ومكارم الأخلاق
العربية والإسلامية

٤٠

العدل

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار روائع

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٢٢٥-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٠)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٢٢٥-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٠)

موقع الكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
العدل لغةً	٧
العدل اصطلاحًا	٩
قيمة العدل	١١
مشروعية العدل	١٤
أساس العدل	١٩
مفاهيم العدل	٢٣
الإنصاف	٣٣
العدل والمساواة	٤٣
ضروب العدل	٤٧
العدل في القضاء	٥٧
أهم ثمرات القضاء	٥٩
القضاء في الإسلام	٦٢
صفات القاضي	٦٣
العدل في الحكم	٧١
العدل الاجتماعي	٧٨
الزكاة والصدقات	٨٣
الفهارس	٨٧

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

لم يكن للعدل وأهميته للحياة ما يشابهه شيء من القيم والأخلاق، ذلك أن العدل مطلب كوني قائم على فلسفة الوجود كله، واستقرار ناموس الكون وصلاحه لوظيفة الوفاق والرضا. ولا يجمع الناس على شيء إجماعهم على أهمية العدل ونبل غايته ومطمح البشرية إليه، سواء في ذلك العدل البشري الذي يسعى إليه الإنسان ويطلبه في حياته، ويرجوه ممن يتعامل معه، أو ذاك العدل الذي يمليه قانون البقاء.

ولأن الإنسان مُستَخْلَفٌ في الكون ومسؤول عن عمارته التي لا تقوم إلا إذا تحقق العدل فيها، جاء اهتمام المفكرين والفلاسفة بماهية العدل وأغراضه، كما تغنى به الشعراء ورددده المادحون وأصحاب الحكم والأمثال وجعلوه من صفات الكمال التي يطمح إليها كل الناس.

وقد عزَّ تعريف العدل وعزَّ الاتفاق على صيغته حتى قالوا في أمثالهم «لو عدل الناس لاستراح القاضي» ومعناه أن العدل لا يتحقق على الطبيعة إلا نادرًا ولا يقبل أحد بحظه من العدل.

ولهذا السبب أوجدت الشرائع الدينية والقوانين الاجتماعية نظمًا تحاول فيها العدل الممكن أو التوازن الذي يعين على استمرار الحياة وحتى تقوم به كما قامت السموات من قبل.

وقد أصبح مطلب العدل لغة البشرية ومطلبها الأبدي، وصار أتم الفضائل وأعلاها مكانة وأقواها تأثيرًا في تفكير الإنسان.

وقد وصف العدل بأنه إعطاء كل شيء ما يستحق، والإذعان للقواعد المقررة والعادات المتبعة والمساواة عند تحقق المماثلة في الحال التي توجب العدل وما يقتضيه الواقع. وهو التوازن القائم على احترام الحقوق عامة والفضائل جملة، فالعادل لا يخون

www.mtenback.com

الأمانة، ولا ينكث العهد، ولا يقترف الإثم ولا يخرق ثوابت السلوك ومتفق الأعـــراف والتزام المرء بهذه الأسس والمواصفات الاجتماعية هو العدل الذي يحقق الصواب ورضا النفس واطـمئنان الضمير.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

العدل لغة:

العَدْلُ مصدر لغويّ يأتي لمعانٍ منها: يْعدله عَدْلاً وعَادَلَه: وازنه، وعادلت بين الشيئين، وعدلت فلانًا بفلان: سويت بينهما.

والعدل تقويمك الشيء بالشيء من غير جنسه حتى تجعله له مثلاً، والعدل النظير كما جاء في القرآن الكريم ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[1] وقول مهلهل[2]:

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا بَرَزَتْ مُخَبَّأَةُ الخُدُورِ

وعدّله قومه ومثلها عدَله جاء في حديث عمر: «الحمد لله الذي جعلني من قوم إذا ملت عَدَلُوني كما يُعْدَل السهم في الثقاف» أي قوموني ومنه قول الشاعر[3]:

صَبَحْتُ بِها القَوْمَ حَتَّى امْتَسَكْـ ... ـتُ بِالأَرْضِ أَعْدِلُها أَنْ تَمِيلا

وكان الفراء يفرق بين عدَل وعدَّل في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[4] فمن قرأها بالتخفيف فوجهه والله أعلم: فصرفك إلى أي صورة شاء:إما حسن أو قبيح، أو طويل، أو قصير. ومن قرأ فعدلك مشددة، فإنه أراد والله أعلم: جعلك معتدلاً معدل الخلق، وهو أعجب الوجهين إلي، وأجودهما في العربية[5]. وغير الفراء يجعل عدلك بمعنى قومك وجعلك سويًا مستقيمًا معتدل القامة[6] كما قال ابن الزِّبَعْرَي[7]:

---

(1) سورة المائدة: الآية ٩٥.

(2) المهلهل بن ربيعة: ديوانه، أعده وقدم له: طلال حرب، دار صادر بيروت، ط١، (١٩٩٦م)، ص٣٩.

(3) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، ج١١، ص٤٣١.

(4) سورة الانفطار: الآية ٧.

(5) الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، ط٣، (١٤٠٣هـ)، ج٤، ص٤٤.

(6) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ)، ج٤، ص٥١٤.

(7) شعر عبد الله بن الزبعري، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٤٢.

www.mtenback.com

وَقَتَلْنَا الضِّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِم وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

والعدالة والعدولة والمَعْدِلة والمَعْدَلة كلها بمعنى العدل[٨]. ومن معاني العدل: الفِدَاء، كقولهم لا يقبل منه صرف ولا عدل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾[٩] أي تفد كل فداء. وعبارة ابن كثير: «ولو بذلت كل مبذول»[١٠] وهي في معنى الفداء والعدل: القيمة، والكيل، وقيل الجزاء والفريضة وبه فسر ابن شُميل الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل، ويقال أيضًا النافلة. والعدل السوية، والاستقامة[١١]. والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور[١٢] وقيل هو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط[١٣]. والكلمة مع حرف الجر لها دلالات أخرى فعدل عن الشيء مال عنه وتركه، وعدل بالله أي أشرك به[١٤] ويرادف العدل القسط، وفعله أقسط فهو مقسط قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[١٥] وقوله: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١٦] أما قسط ثلاثيًا فجار وظلم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا

---

[٨] ابن منظور: لسان العرب ٤٣/١١

[٩] سورة الأنعام: الآية ٧٠.

[١٠] ابن كثير: تفسير القرآن ١٥٠/١

[١١] الزبيدي: تاج العروس ٨ /١٠

[١٢] ابن منظور: اللسان ١١؟ ٢٣٦

[١٣] الزبيدي: تاج العروس ١٠/٨

[١٤] ابن منظور: اللسان ٤٣٦/١١

[١٥] سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

[١٦] سورة الممتحنة: الآية ٨

www.mtenback.com

الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[17] وعن سعيد بن جبير: أن الحجاج لما أراد قتله قال له: ما تقول في قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالمًا مشركًا وتلا عليهم: وأما القاسطون... الآية، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[18] ومثله ما وقع للرشيد مع البرامكة حين قالت له: حكمت فقسطت. فتنبه لها، و لم يتنبه جلساؤه.

ويرتبط العدل بالإحسان والعفو والصفح والحق وسنعود لهذا في موضعه. والإنصاف قرين العدل. يقال النصف والنصفة والإنصاف وهو إعطاء الحق. والانتصاف أخذ الحق. قال الفرزدق:

وَلَكِنَّ نَصْفًا لَوْ سَبَبْتُ وَسَبَّنِي بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ مَنَافٍ وَهَاشِمِ

وأنصف الرجل إذا عدل[19].

العدل اصطلاحًا

هو التزام طريق الحق في كل أمر من أمور الحياة، وعدم الحيدة عنه قيد شعرة، والبعد عن الظلم أو الميل عن جادة الإنصاف بقصد قضاء بغية أو منفعة تعود عليه[20]. أو هو إعطاء كل ذي حق حقه بغير تفرقة بين المستحقين،سواء كان ذو الحق فردًا أم

---

[17] سورة الجن: الآية ١٥.

[18] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف، رتبه وضبطه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ)، ٦٢٨/٤. والآية ١ من سورة الأنعام.

[19] ابن منظور: اللسان ٣٣٢/٩.

[20] الدجوي، أحمد سعيد:فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، تحقيق: عبد الرحيم مارديني مكتبة دار المحبة دمشق، ط١، (١٤١١هـ)، ص ٥٨.

www.mtenback.com

جماعة، أم شيئًا من الأشياء أم معنى من المعاني، بلا طغيان ولا إخسار، فلايبخس حقه ولا يجور على غيره[٢١].

وينقل الملا علي تعريف ابن مسكويه له بأنه فضيلة تحدث من اجتماع الفضائل الثلاث: الحكمة والعفة والشجاعة. وذلك عند مسالمة وانسجام هذه القوى بعضها مع بعض، واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتصارع ولا تتحرك نحو مطالبها الغريزية ويحدث للإنسان بها - أي بالعدل الذي هو ملكة التوازن بين الحقوق والواجبات - سمة يختار بها الإنصاف من نفسه أولاً ثم الإنصاف والانتصاف من غيره وله[٢٢]. وكلام ابن مسكويه مقتبس من أفلاطون كما سيأتي.

ويعرف بعضهم العدل بأنه: أن يجني كل امرئ ثمرة جهده. وهو أيضًا أن يتحمل كل امرئ تبعة فعله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[٢٣]. وبهذا التعريف لا يعني العدل بذلاً ولا تضحية؛ فالعادل يعطي الآخرين حقوقهم، ويأخذ لنفسه حقه. فهو لايعطي الآخرين من ماله،والغيرية تتمثل فقط في تصميمه على إعطاء الآخرين مالهم، وتعففه عنه، ورده الميول الأنانية التي تدفع إلى ظلمهم[٢٤].

---

[٢١] القرضاوي، يوسف: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤١٧هـ)، ص١٤٧.

[٢٢] الملا أحمد علي: عالمية الإسلام وإعداد المواطن الصالح، دمشق، (د.ت)، ص٣٨٥.

[٢٣] سورة الجاثية: الآية ١٥.

[٢٤] إبراهيم، د. أحمد عبد الرحيم: الفضائل الخلقية في الإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، (١٤٠٢هـ) ص١٢٦.

www.mtenback.com

قيمة العدل:

العدالة عند الراغب الأصفهاني لفظ يقتضي معنى المساواة. ولهذا روي: «وبالعدل قامت السموات والأرض». تنبيهًا إلى أنه لو كان ركن من الأركان الأربعة في العالم زائدًا على الآخر أو ناقصًا عنه على مقتضى الحكمة لم يكن العالم منتظمًا.

والعدل عنده ضربان: ضرب مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخًا،ولا يوصف بالاعتداء بوجه،نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذية عمن كف أذاه عنك.وعدل يعرف كنهه بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخًا في بعض الأزمنة،كالقصاص وإرش الجنايات وأصل مال المرتد،ولذلك قال تعالى:﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[٢٥] وقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٢٦] فسمي اعتداء وسيئة.وهذا النحو هو المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[٢٧] فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه[٢٨].

وكثير من المفكرين يجعلون العدل فضيلة وسطى بين رذيلتين شأن سائر الفضائل.يقول ابن مسكويه: فأما العادل بالحقيقة فهو الذي يعدل قواه وأفعاله وأحواله كلها حتى لا يزيد بعضها على بعض، ثم يروم ذلك فيما هو خارج عنه من المعاملات والكرامات، ويقصد في جميع ذلك فضيلة العدالة نفسها لا غرضًا آخر سواها،ولما

---

[٢٥] سورة البقرة: الآية ١٩٤

[٢٦] سورة الشورى: الآية ٤٠.

[٢٧] سورة النحل: الآية ٩٠

[٢٨] الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي،دار القلم،دمشق والدار الشامية بيروت، ط١، (١٤١٢هـ)، ص٥٥١-٥٥٢.

www.mtenback.com

كانت العدالة توسطًا بين أطراف وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص إليه صارت أتم الفضائل[٢٩].

ويفصل مفهوم الوسطية هذا، الفخر الرازي في تفسيره آية النحل: أما العدل فهو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط،وذلك أمر واجب الرعاية في جميع الأشياء، قال ابن عباس: العدل قول لا إله إلا الله.وتحقيق القول فيه أن نفي الإله تعطيل محض،وإثبات أكثر من إله إشراك وتشبيه وكلاهما مذمومان. والعدل هو إثبات الإله الواحد.

وهذه الوسطية قريبة في معنى العدل إذ لما كان مشتقًا من المعادلة والموازنة بين شيئين كما سبق تقريره، فقد اقتضى شيئًا ثالثًا وسطًا بين طرفين،وقد استعمل اسم الوسط في كلام العرب تارة مرادفًا لمعنى العدل. كما جاء عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣٠] قال: عدلاً، والوسط العدل[٣١].

وهنا ملحظ مهم لا بد من الإشارة إليه،وهو أن الوسطية هنا تختلف عن الوسطية في باقي الفضائل؛فإن العلماء يقررون أن الفضيلة عمومًا وسط بين رذيلتين،فالشجاعة وسط بين رذيلتي الجبن والتهور، والكرم وسط بين رذيلتي الإسراف والبخل؛ ولكن العدل وسط، والجور في الطرفين وإنما صار الجور في الطرفين لأنه زيادة ونقصان معًا.وذلك أن من شأن الجور طلب الزيادة والنقصان معًا:أما الزيادة فمن النافع على الإطلاق، والنقصان ممّا هو ضار. فلذلك يكون الجائر مستعملاً للزيادة والنقصان معًا؛ أما لنفسه فيستعمل الزيادة في النافع وإمّا لغيره

---

[٢٩] ابن مسكويه، أبو علي أحمد محمد: تهذيب الأخلاق، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، (١٩٦٦م)، ص١١٢.

[٣٠] سورة البقرة: ١٤٣

[٣١] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١٩٦/١، الحديث رواه الترمذي.

www.mtenback.com

فيستعمل النقصان منه.وأما في الضار فبالضد وعلى العكس،وذلك أنه إما لنفسه فيستعمل النقصان، وإما لغيره فيستعمل الزيادة[٣٢].

والعدل بتعريفاته كلها، مما تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية والعقول الحكيمة، وتمدح بادعاء القيام به عظماء الأمم. وحسن العدل مستقر في الفطرة، فإن كل نفس تنشرح لمظاهر العدل ما كانت النفوس بمعزل عن هوى يغلب عليها في قضية خاصة تنتفع بها.

وتحدث الماوردي عن العدل بمعناه الشامل، فقال: إنه يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان. وذكر أنه أحد قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به،ولا صلاح فيها إلا معه، ولهذا وجب على الإنسان أن يبدأ بالعدل في نفسه،ثم يعدله في غيره.وذكر أن عدله في نفسه يكون بحملها على أعدل الأمرين، من تجاوز أو تقصير فإن التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم. ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أجور[٣٣].

والعدل هو الإذعان للقواعد المقررة في مجتمع ما، بغض النظر عن قيمتها ومردودها وهو ما يسمونه «العدل الإستاتيكي» أي الثابت[٣٤] والعادل عندهم هو الذي يحكم بهذه القواعد ويمتثل لها، فالقاضي الذي يطبق قانون بلده بدقة، والمعلم الذي ينفذ المنهج الدراسي بصرامة كلاهما عادل، والإنسان الذي يخضع للقانون ويسير في كل ضروب حياته حسب القواعد المعروفة في مجتمعه إنما يتحرى العدالة في

---

[٣٢] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص١٢٥

[٣٣] صقر، عطية: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: مؤسسة الصباح الأولى (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص٣٧٩.

[٣٤] نصار محمد عبد الستار: دراسات في فلسفة الأخلاق دار القلم، الكويت، ط١، (١٤٠٢ هـ) ص٢٣٥.

www.mtenback.com

حياته، وقد تكون قواعد العدالة غير ملائمة، وقد تكون مناهج التعليم غير مناسبة، ولكن الإذعان لها وتطبيقها هو مظهر العدل الثابت.

والعدل بهذا المفهوم يسد منافذ الإصلاح والتطوير، وهو عدل صوري، والفعل الإنساني مهما بلغ ذروة التفكير والسداد فهو ناقص؛ ذلك النقص الذي طَبَعهُ عليه الله بحكمته، ومن ثم كان الا حتكام لقواعد الشرع أوفق، لأنها صادرة من الشرع الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

مشروعية العدل:

نصت الشرائع الدينية والأنظمة البشرية على ضرورة قيام المجتمع البشري بالعدل واتخاذه سبيلاً لتحقيق الحياة المطمئنة على الأرض. وجاء الإسلام خاتمًا للشرائع ومبينًا أثر العدل في حياة الناس، ومؤكدًا عليه في أكثرمن نص قرآني من ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[٣٥].

وحرص الإسلام على تقوية الجانب الأخلاقي في المسلم، والعدل في الإسلام هو مما يكمل أخلاق المسلم لما فيه من اعتدال واستقامة وحب للحق وقد وردت مادة عدل حوالي عشرين مرة في معرض المدح والترغيب في هذه الصفة الكريمة، وفيها إشارة إلى تنوع مجالات العدل، وكذلك وردت مادة قسط في ثلاثة وعشرين موضعًا مأمورًا بها مع الحض على التزامها[٣٦].

---

[٣٥] سورة الحديد: الآية ٢٥.

[٣٦] عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، تركيا، (١٩٨٢م)، مادة عدل، قسط

www.mtenback.com

فالعدل واجب ومأمور به في قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[٣٧]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٣٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[٣٩].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[٤٠].

وقد قدم العدل على بر الوالدين مع ما له من مكانة ووجوب حتمي أساس، ولا يقدم على واجب أساس إلا ما كان أوجب منه. ويطلب القرآن من المسلم ألا يتأثر بأهواء النفس وأحوال الرضا والغضب فيطلب من المؤمنين ألا يدفعهم كرههم لبعض الناس عن التخلي عن العدل، وتبين آية المائدة أن العدل ليس مطلوبًا من أجل إيصال الحق إلى صاحبه فحسب، بل لأنه أقرب إلى رضوان الله وهو أقرب للتقوى. يقول ابن القيم: «الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الظلم، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة»[٤١].

---

[٣٧] سورة الشورى: الآية ١٥.

[٣٨] سورة المائدة: ٨.

[٣٩] سورة النحل: ٩٠.

[٤٠] سورة النساء: ١٣٥.

[٤١] أحمد الملا: عالمية الإسلام ص٣٨٦.

www.mtenback.com

ودعا الإسلام إلى العدل وحسنه، ولما كان ﷺ هو المبلغ عن ربه، القدوة الحسنة، فقد كثر في حديثه تعليم الناس وإرشادهم إلى العدل وتقبيح الظلم والتحذير منه فمن الأحاديث: «أحبُ الناس إلى الله وأدناهم منه مجلسًا إمام عادل؛ وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسًا إمام جائر»[٤٢].

وجعل المولى عز وجل الوالي العادل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[٤٣].

ومن المنجيات العدل في الرضا والغضب وهذه أعلى مراتب العدل[٤٤] إذ قد يعدل المرء في حال الرضا ولكن يندر أن يعدل وهو غاضب أو ساخط أو كاره.

كانت الأمم قبل الإسلام تعرف معنى العدل والظلم، وتعرف حدود كل منهما، وكانت تلك الحدود متداخلة شأنها في ذلك شأن كثير من المعاني المجردة إذ ذاك.

وقد نقل ابن مسكويه عن أرسطو أن العدالة هي الفضيلة كلها[٤٥]. وقسمها إلى أقسام ثلاثة:

أحدها: ما يقوم به الناس لرب العالمين، وهو أن يجري الإنسان فيما بينه وبين الخالق عز وجل على ما ينبغي وبحسب ما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته.وذلك أن العدل إذا كان إنما هو إعطاء من يجب ما يجب كما يجب، فمن المحال ألا يكون لله تعالى الذي وهب لنا هذه الخيرات العظيمة واجب ينبغي أن يقوم به الناس.

---

[٤٢] الترمذي، محمد بن عيسى: صحيح الترمذي بشرح: الإمام أبي بكر بن العربي، مطبعة الصاوي، مصر، ط١، (١٩٣٤م)، ج٦ ص٧٠.

[٤٣] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٤٣/٢، رقم ٦٦٠.

[٤٤] الخزندار، محمود محمد: هذه أخلاقنا حين نكون حقًا مؤمنين، دار طيبة للنشر والتوزيع ط١، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص٢٣٥.

[٤٥] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، انظر ص١١٧.

www.mtenback.com

والثاني: ما يقوم به بعض الناس لبعض من أداء الحقوق وتعظيم الرؤساء وتأدية الأمانات والنصفة في المعاملات.

والثالث: ما يقومون به من حقوق أسلافهم مثل أداء الديون عنهم وإنفاذ وصاياهم وما أشبه ذلك[٤٦].

والعدالة عند أفلاطون هي التوازن بين قوى النفس الثلاث العقلية والغضبية والشهوانية. وهو التعريف الذي أخذ به ابن مسكويه والغزالي وغيرهما من مفكري المسلمين[٤٧].

ولهذا التعريف رد أفلاطون معظم الفضائل إلى العدل، فالعادل عنده لا يخون أمانة، ولا ينكث عهدًا، ولا يعق والدًا، ولا يقترف فاحشة، أي أن مرجع الأمانة وحفظ العهد وبر الوالدين والعفة ترجع إلى فضيلة العدل؛ لأن التزام كل قوة من قوى النفس بعملها هو العدل عنده.

وقد مجد أفلاطون العدل وقبح الظلم، واتخذه دليلاً على خلود النفس بعد الموت فقال: لو لم تكن النفس خالدة لما بدا لنا الظلم مريعًا، ولوجب أن ينظر المرء بعين الرثاء والإشفاق لهؤلاء الذين يقاسون الفقر والجهل وجميع صنوف العذاب في هذه الدنيا من أهل الفضيلة والعدل، ولو كان حقًا أن الإنسان يفنى جسدًا أو روحًا، ما كان أسعد طالعًا من الأشرار حين يدركهم الموت إذ سوف يتحررون حينئذ من أجسامهم ونفوسهم وشرورهم أيضًا[٤٨].

وينقل العرب عن حكماء اليونان والفرس حكمًا كثيرة تحض على العدل وتمجده كقولهم: قال الحكيم: بالراعي تصلح الرعية، وبالعدل تملك البرية، وأفضل الملوك من أحسن في فصله ونيته وعدل في جنده ورعيته.

---

[٤٦] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، انظر ص١١٩.

[٤٧] إبراهيم، أحمد: الفضائل الخلقية في الإسلام، ص١٢٧.

[٤٨] د. العبد،عبد اللطيف محمد: الأخلاق في الإسلام، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة (د.ت) ص١٤٩.

www.mtenback.com

وعن أفلاطون: بالعدل ثبات الأشياء وبالجور زوالها لأن المعتدل هو الـــذي لا يزول.

وعن الإسكندر: لا ينبغي لمن تمسك بالعدل أن يخاف أحدًا. ونقلوا عنه قولـــه لقوم من الهند: أيهما أفضل العدل أو الشجاعة؟ فقالوا: إذا استعمل العدل استغني عـــن الشجاعة.

وقال بزرجمهر العدل هو ميزان البارئ عز وجل، ولذلك هو مبرأ من كل زيـــغ وميل[٤٩].

وكان قدماء الرومان يمثلون آلهة العدل بامرأة معصوبة العينين ممسكة ميزانًـــا ذا كفتين بإحدى يديها وسيفًا باليد الأخرى، ويرمزون بعصب عينيهـــا إلى أن العـــادل ينبغي أن يعمى عن العوامل التي تجعله ينحاز عن الحق، كغنى وجاه، وبالميزان إلى أنـــه يجب أن يزن لكل إنسان حقه بالقسط، وبالسيف إلى أنه يلجأ إلى القـــوة إلى تحقيـــق العدل عند الحاجة إليها[٥٠].

واشتهر من ملوك الفرس بالعدل كسرى أنو شروان روي أنه كان لـــه معلـــم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم، فضربه المعلم يومًا من غير ذنب فأوجعـــه، فحقدها عليه أنوشروان فلما ولي الملك قال للمعلم: ما حملك على ضربي يوم كـــذا وكذا ظلمًا، فقال له: لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم[٥١].

---

[٤٩] الأمير أســـامة بن منقذ: لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصـــر، (١٣٥٤هـــ/١٩٣٥م)، ص٥٦، ٥٧.

[٥٠] أمين، أحمد: كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٩م)، ص٢٢٠

[٥١] الأحيدب، عبد العزيز محمد: نزهة الألباب في المحاسن والآداب، مكتبة العبيكـــان، (١٤١٦هـــ)، ص٧٤

www.mtenback.com

وللأمم السابقة مواقف كان الظلم فيها صارخًا، فكان الدستور اليوناني يفرق بين من ينتسب إلى أصل يوناني وبين من لا يمت إليه بسبب، فجعل للأولين جميع الحقوق الوطنية وخولهم حق السيادة على الآخرين، وجاراه في ذلك الشعب الروماني وغلا في ذلك بعض الغلو، فلم يفرق بين من هو من أصل روماني وبين غيره فحسب، بل فرق بين الخاصة والعامة أيضًا، فجعل للأولين الزعامة والقيادة والحماية وفرض على الآخرين الخضوع والانقياد والطاعة[٥٢].

أساس العدل:

نفى المولى عز وجل الظلم عن نفسه، كما في قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٥٣]. وفي قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٥٤].

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»[٥٥]. وهذا أوضح دليل على وجوب العدل وكونه مبدأً ثابتًا في الإسلام.

ومن أسماء الله تعالى «العدل» وهو أحد أربعة أسماء سمى بها الله نفسه باسم المصدر أو اسم المعنى وهي السلام والحق والنور والعدل، وباقي أسمائه إما اسم فاعل وإما صفة، وهذا يدل على تكريم الله تعالى لهذه المعاني الأربعة فاعتبرها جزءًا من ذاته، فالإيمان بها إيمان به والعمل بها عمل له. يقول ابن تيمية: «إن الله عز وجل ينتصف

---

[٥٢] انظر: طبارة، عفيف عبد الفتاح: روح الدين الإسلامي، ط٦، (١٩٦٤م) ص٢٩٠.

[٥٣] سورة الحج: الآية ١٠.

[٥٤] سورة ق: الآية ٢٩

[٥٥] مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، ط١، (١٩٥٥م)، ط٤، (١٩٩٤م)، برقم ٢٥٧٧.

www.mtenback.com

من العباد. ويقضي بينهم بالعدل،وإن القضاء بينهم بغير العدل ظلم يتنزه الله منه، وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره»[٥٦].

ويجعل الغزالي عدل الله تصرفه في ملكه بما يشاء فيقول: «لأنه متصرف في ملكه، ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه، والظلم هو التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله؛ فإنه لا يصادف لغيره ملك حتى يكون تصرفه فيه ظلمًا»[٥٧].

يعني هذا أن الغزالي يفرق بين العدل الإلهي والعدل البشري إذ يتصور من البشر الظلم بتصرفهم في ملك غيرهم، وهو لا يجوز على الله تعالى.

وقد وسع عدل الله البهائم مثلما وسع الناس، جاء في الحديث: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء»[٥٨]. وجعل الله تعالى يوم القيامة يوم فصل وعدل ينصب فيه الميزان، فقد سألت السيدة عائشة الرسول ﷺ هل يذكر الناس أهليهم يوم القيامة فرد قائلا: «والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحدًا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل...»[٥٩].

وفي الحديث أنه يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى الملك: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا ولا بد للمرء أن يرد الحقوق لأصحابها في الدنيا، وإلا ردها يوم القيامة. فإن مات قبل رد

---

[٥٦] عفيفي، فوزي سالم: في مكارم الأخلاق، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ت)، ص١٠٤.

[٥٧] الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دمشق، (د.ت)، ٩٩/١.

[٥٨] مسلم: صحيح مسلم، برقم ٢٥٨٢.

[٥٩] الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٤٤/٤.

www.mtenback.com

المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه، وهذا يقول ظلمتني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول عاملتني فغششتني فعندئذ يؤخذ من حسناته[٦٠].

ولهذا حذر الله تعالى ورسوله ﷺ من الظلم وشؤمه، إذ إن دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا؛ لأن فجوره على نفسه[٦١]. وكان يزيد بن حاتم يقول: «ما هبت شيئًا قط هيبتي من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله فيقول حسبك الله، الله بيني وبينك. وقال بلال بن مسعود: اتق الله فيمن لا ناصر له إلا الله. وبكى علي بن المفضل يومًا فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي على من ظلمني إذا وقف غدًا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة.

وقال الشاعر:

كُنْتَ الصَّحِيحَ وَكُنّا مِنْكَ فِي سَقَمٍ ... فَإِن سَقِمْتَ فَنَحْنُ السَّالِمونَ غَدا

دَعَتْ عَلَيْكَ يدٌ مَظْلُومَةٌ ظُلِمَتْ ... وَلَنْ تُرَدَّ يدٌ مَظلومةٌ أَبَدا

وهذا وزير حكيم يدرك ببصيرته أن الظلم عاقبته على صاحبه في النهاية، وينصح القوي المتسلّط ألاّ يغترّ بقدرته العاجلة، لأن الله سينصف المظلوم ويرد له حقه.

وقال محمد بن سويد وزير المأمون:

لاَ تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

---

[٦٠] مسلم: صحيح مسلم، برقم ٢٥٨١.

[٦١] وردت دعوة المظلوم في عدد من أحاديث البخاري، فتح الباري بشرح ابن حجر العسقلاني، كتاب المظالم، ٥/٩٥ رقم ٢٤٤٨.

www.mtenback.com

وما حيلة الضعيف إذا سلب حقه و لم يجد له ناصراً عدلاً، سوى أن يرفع شكواه وأنينه إلى السميع البصير،وأنه سلاح قاهرٌ يقصم الظالم، قال شاعر[٦٢]:

أَتَهْـــزَأُ بِالدُّعَـــاءِ وَتَزْدَرِيـــه ... وَمَا تَـــدْرِي بِمـــا صَنَـــعَ الدُّعَـــاءُ

سِـــهَامُ اللَّيْـــلِ نَـــافِذَةٌ وَلَكِـــــنْ ... لَهـــا أَمَـــدٌ وَلِلأَمَـــــدِ انْقِضَـــــاءُ

فَيُمْسِـــكُها إِذَا مَـــا شَـــاءَ رَبِّـــي ... وَيُرْسِـــلُها إِذَا نَفَـــــذَ القَضَـــاءُ

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء، ما كنـــت لألي هذا بعدما حدثني إبراهيم قال: وما حدثك إبراهيم؟ قال حدثني عن علقمة عن ابـــن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأشياع الظلمة؛ حتى من برى لهم قلمًا أو لاق لهم دواة، فيجمعون في تابوت من حديد ثـــم يرمى بهم في نار جهنم»[٦٣].

وقد وردت مادة (ظلم) منهيًا بها عن الفعل، في القرآن الكريم، في أكثر مـــن مائة وثمانين موضعًا في معرض الذم لهذه الصفة القبيحة، فالظلم سبب مؤكد لوقـــوع العذاب في الدنيا قبل الآخـــرة: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٦٤]. وليس للظالمين من شفيع ولا ناصر يوم القيامة: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٦٥] وهو سبب مؤذن بخراب الدول والأمة المسلمة لا يشفع لها إسلامها في استحقاق التأييد من الله إن كانت

---

[٦٢] الأحيدب، عبد العزيز: نزهة الألباب، ص ٧٣.

[٦٣] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، (١٤١٠هـــــ) ١١٣/٥. في تفسير الآية ٥٨ من سورة النساء.

[٦٤] سورة البقرة: الآية ٥٩.

[٦٥] سورة غافر: الآية ١٨.

www.mtenback.com

ظالمة كما قيل: «إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة. ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»[٦٦] ولعل المقصود بالعدل هنا إيصال الحقوق إلى أهلها، ومنع البغي والتعدي.

وكان ﷺ يحذر من مغبة الظلم، والسكوت عليه، ويحض على مقاومته فيقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده»، ويقول: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٦٧]. وغرس ﷺ روح العدل في أصحابه حتى تشربوه وصاروا يعملون به كأنما فطروا عليه. روى أصحاب السير أن عبد الله بن رواحة كان يأتي يهود خيبر كل عام فيخرصها عليهم. أي يقدر ما عليها من الرطب والعنب. ثم يضمنهم الشطر. فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ وأنتم أبغضهم علي، ولا يحملني بغضي إياكم و حبي إياه على ألا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض»[٦٨].

هذا وقد خص الله أهل العدل في الدنيا بإعلاء شأنهم في الآخرة وتقريبهم منه سبحانه، كما ورد في الحديث: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن. وكلتا يديه يمين. الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا» [٦٩].

مفاهيم العدل:

كان مبدأ العدل مرغوبًا فيه لدى العرب، وقد حاولوا تحقيقه في حياتهم قبل الإسلام، وعرفوه وعدوه من المحامد، إلا أن حياتهم كانت تعتمد على توازن القوى،

---

[٦٦] محمود الخزندار: هذه أخلاقنا، ص٢٣٤.

[٦٧] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٥/ ٩٩، رقم ٢٤٤٥، في نصرة المظلوم.

[٦٨] الترمذي: سنن الترمذي، ج٩ ص١٧.

[٦٩] مسلم: صحيح مسلم، ١٤٥٨/٣، رقم ١٨٢٧.

www.mtenback.com

وقد خضعت أحكامهم ومعاملاتهم لذلك حتى جعل شاعرهم الأعشى العدل مما استأثر به الله دون البشر قال[٧٠]:

اسْتَأْثَرَ اللّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْ ل وَوَلّى الْمَلامَةَ الرَّجُلا

وهم مع هذا كانوا يتشوقون للعدل قيمة مطلقة، ويدركون أنه لا يتحقق إلا بالقوة وذي الأمر المطاع، والاتفاق. روى ابن عبد ربه في أيام العرب أنه لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفهاؤها، وتقاطعت أرحامها، ارتأى رؤساؤهم فقالوا: إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف ولا نستطيع تغيير ذلك، فنرى أن نملّك علينا ملكًا نعطيه الشاة والبعير فيأخذ للضعيف من القوي، ويرد للمظلوم من الظالم، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فتفسد ذات بيننا، ولكنا نأتي تبعًا فنملكه علينا»[٧١].

ومن الصور المشرقة حلف الفضول في الجاهلية الذي تداعت فيه قبائل من قريش فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه، وكانوا بني هاشم وبني المطلب، وبني أسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه، وشهده رسول الله ﷺ وقال حين أرسله الله تعالى: «لقد شهدت مع عمومتي حلفًا في دار ابن جُدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»[٧٢].

---

[٧٠] ديوان الأعشى، تحقيق: كامل سليمان دار الكتاب اللبناني، ط١، ص١٤٧.

[٧١] ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد تحقيق: أحمد أمين، أحمد زين، إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

[٧٢] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية، حققها: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ١/١٣٣.

www.mtenback.com

وجاء في سبب الحلف أن رجلاً من زبيد أتى بتجارة إلى مكة فاشتراها العاص ابن وائل السهمي ثم حبس حقها وأبى أن يدفعه فاستعدى عليه قبائل قريش والأحلاف فلم يكترثوا له. فوقف على جبل أبي قبيس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة وأنشد:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ

وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَا لَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ وَالْحَجَرِ

إِنَّ الحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلاَ حَرَامَ بِثَوْبِ الفَاجِرِ الغَدِرِ

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا من مترك، فاجتمع النفر الذين ذكروا آنفًا وذهبوا إلى العاص بن وائل واستخلصوا منه حق الزبيدي وفي هذا الحلف يقول الزبير بن عبد المطلب:

إِنَّ الفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا ... أَلاَّ يُقِيمَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمُ

أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا وَتَوَاثَقُوا ... فَالجَارُ وَ المُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمُ

وقد علق محمد الغزالي على هذا قائلاً: إن بريق الفرح من هذا الحلف يظهر في ثنايا الكلمات التي عبر بها رسول الله عنه، فإن الحمية ضد أي ظالم مهما عز، ومع أي مظلوم مهما هان، هي روح الإسلام الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، والواقف عند حدود الله.. ووظيفة الإسلام أن يحارب البغي في سياسات الأمم وفي صلات الأفراد على السواء[٧٣].

وفي شعر العرب إشراقات تدل على حبهم الإنصاف وبغضهم الجور قال عامر ابن الطفيل مفتخراً بأنه منصاعٌ للحق لا يجور إذا دعته مصلحة قرابة ولا يتأثر في أحكامه لصحبةٍ ومعرفة[٧٤]:

---

[٧٣] الغزالي، محمد: فقه السيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص ٧٥.

[٧٤] عامر بن الطفيل: ديوانه، رواية: أبي بكر بن الأنباري عن ثعلب، دار صادر ودار بيروت، (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م). ص٧٥.

www.mtenback.com

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذا الإِلْـــفُ قَـادَنِي إِلَى الْجَوْرِ لا أَنْقَادُ وَالإِلْـفُ جَـائِرُ

ويوصي عدي بن زيد بالعدل والإنصاف، ومجازاة المحسن والمسيء، كـلٌّ بمـا يستحق[٧٥]:

وَبِالعَدْلِ فَانْطِقْ إِنْ نَطَقْتَ وَ لاَ تَلُـمْ وَذَا الذَّمِّ فَاذْمُمْهُ وَذَا الحَمْدِ فَـاحْمَدِ

ويقول عنترة معتزًا بنصرته وقومه لمبدأ العدل، وأنَّ هذا يعود بالرحمة والإحسان إلى الناس[٧٦]:

وَنَحْـنُ العَـادِلُونَ إِذَا حَكَمْنَـا وَنَحْـنُ المُشْـفِقُونَ عَلَـى الرَّعِيَّـهْ

ويتمدح أزيرق اليمامة بأنه لا يمشي بالظلم[٧٧]:

لَبِسْـتُ شَـبِيْبَتِي مَـا ذُمَّ خُلْقِـي وَما شِـمْتُ العَـدُوَّ وَلا هَفَـوْتُ

وَمَـا أَدَعُ السَّـفَارَةَ بَيْـنَ قَوْمِـي وَلاَ أَمْشِـي بِغُشْـمٍ إِنْ مَشَـيْتُ

وكانت فطرهم تشعرهم بما للظلم والبغي من سوء عاقبة، وأن الظالم ينبغي ألا يوالى: قال الأعشى محذرًا قومه[٧٨]:

نَهَيْتُكُمُ عَـنْ جَهْلِكُـمْ وَنَصَرْتُكُـمْ عَلَى ظُلْمِكُمْ وَالحازِمُ الرَّأْيِ أَشْـفَقُ

وَأَنْذَرْتُكُمْ قَوْمًا لَكُـمْ تَظْلِمُونَهُـمْ كِرَامًا فَإِنْ لاَ يَنْفَدِ العَيْـشُ تَلْتَقُـوا

وجاء في ديوان بني بكر لجساس بن مرة يتحدث عن بغي تغلب عليهم، ومحاولته دفع الظلم، وما جر ذلك الظلم من فتن[٧٩]:

---

[٧٥] صفدي، مطاع وآخرون: موسوعة الشعر الجاهلي، بيروت، (١٩٧٤م)، ٢/٤٤٦.

[٧٦] عنترة بن شداد العبسي، ديوان عنترة، تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، القاهرة، (د.ت)، ص١٨٩.

[٧٧] ديوان بني بكر في الجاهلية، تحقيق: د. عبد العزيز نبوي، دار الزهراء، القاهرة، (د.ت)، ص٣٣٩.

[٧٨] ديوان الأعشى، ص١٢٤.

[٧٩] ديوان بني بكر، ص٣٩٣.

www.mtenback.com

قَدْ جَرَّبَتْ تَغْلِبُ أَرْماحَنا ... بِالطَّعْنِ إِذْ جَارُوا وَحَزِّ الحُلُوقْ
لَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنْ بَغْيِهِمْ ... عَنَّا وَلَمْ يَعْتَرِفُوا بِالْحُقُوقْ
وَأَسْعَرُوا لِلْحَرْبِ نِيرانَها ... لِلظُّلْمِ فِينا بَادِيًا وَالعُقُوقْ
بَدَأْتُمُ بِالظُّلْمِ فِي قَوْمِكُمْ ... وَكُنْتُمُ مِثْلَ العَدُوِّ الحَنِيقْ
فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَارْكَبُوها بِما ... فِيها مِنَ الْفِتْنَةِ ذاتِ البُرُوقْ

وأشد ما يكون الظلم إذا وقع من قريب وعند ذلك تهتز ثقة المرء بما حوله، وتسودّ الدنيا في عينيه، كما قال طرفة[٨٠]:

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

لقد كره العرب الظلم الذي هو ضد العدل وقبحوه أشد التقبيح وشتموا فاعله وضعفوه، ولكنهم علموا أن الحياة لا تستقيم على ما يرغب الإنسان وما يريد وأن العدل لا يتم إلا بتوازن بين الحالات التي يتعرض لها الإنسان فإن غلب العدل في حياته وفي تصرفاته حسن حاله، واطمأن إليه من حوله ومن يعامله. أما إذا جار وظلم وقلّ العدل في سلوكه، ولم يردعه خلقه فرده عن الظلم واجب وحدوث الظلم في أخلاق الناس أمر لا يستبعد حيث قد يوجد فيهم من طبعه وتكوينه مركب من الميل والجهل والعدوان فإذا وجد مثل هذا النوع وهو سيوجد لا محالة في كل تجمع بشري يعيش على الأرض فإن ردعه بما يشبه ميله وطبعه هو العلاج الأخير، وتقديرًا لهذه الأسباب جاء المثل: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا».

وقصة المثل أن جندب بن العنبر كان رجلاً دميمًا فاحشًا شجاعًا، وأنه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان، فلما أخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه: يا سعد لشرب لبن اللقاح، وطول النكاح، وحسن المزاح أحب إليك من

[٨٠] القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د.ت)، ص٣٣٣.

www.mtenback.com

الكفاح، ودعس الرماح... قال سعد: كذبت، والله إني لأعمل العامل وأسكت القائل وأنحر البازل، قال جندب إنك لتعلم أنك لو فزعت دعوتني عملا، وما ابتغيت بي بدلاً، ولرأيتني بطلاً فغضب سعد وأنشأ يقول:

هَلْ يَسُودُ الْفَتَى إِذَا قَبُحَ الوَجْـ ـهُ وَأَمْسَى قِرَاهُ غَيْرَ عَتِيدِ

فأجابه جندب:

لَيْسَ زَيْنُ الفَتَى الجَمَالَ وَلَكِنْ زَيْنُهُ الضَّرْبُ بِالحُسَامِ التَّلِيدِ

ثم قال سعد، وكان عائفًا: أما والذي أحلف به لتأسرنك ظعينة بين القرينة والدهينة، ولقد أجري طيري، أنه لا يفكك غيري، فقال جندب: كلا إنك جبان تكره الطعان وتحب القيان، فتفرقا على ذلك، فغبرا حينًا، ثم إن جندبًا خرج على فرس له يطلب القنص، فأتى على أمة لبني تميم راودها عن نفسها فأسرته فمر به سعد في إبله، فقال: يا سعد أغثني، قال سعد: إن الجبان لا يغيث، فقال جندب:

يَا أَيُّها الَمَرْءُ الكَرِيمُ المَشْكُومْ انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومْ

فأقبل سعد فأطلقه[٨١].

وحول الرسول ﷺ معنى هذا المثل وقيمته العربية الجاهلية إلى قيمة عربية إسلامية عليا حين قال المثل بلفظه فقيل: «يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ فقال ﷺ ترده عن ظلمه[٨٢]. مبينًا سبيل تحويل المكارم والقيم العربية قبل الإسلام إلى قيم ومكارم عربية إسلامية يكسوها الإسلام وجمال الهدف والغرض وسلامة الأداء وحسن التعامل.

---

[٨١] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت)، ٢/ ٣٣٤.

[٨٢] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار سحنون، إستانبول، ط٢، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، كتاب المظالم، باب ٤، م٣، ص٩٨.

www.mtenback.com

ويرتبط الظلم عند العرب أيضًا بالاغتراب والبعد عن العشيرة، فإن الرجل إذا اغترب عن قومه، لا يجد له نصيرًا، إذا ما اجتمع عليه قوم، فيكسره الظلم وحيدًا قال الأعشى[٨٣]:

مَتَى يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لاَيَجِدْ لَهُ ... عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطٌ حَوَالَيْهِ مُغْضَبَا

وَيُحْطَمْ بِظُلْمٍ لاَ يَزَالُ يَرَى لَهُ ... مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا

ومن هنا جاء ارتباط العدل بالعصبية من جهة وبالقوة من جهة أخرى، فالقوي القادر على ظلم الآخرين هو الذي يستطيع دفع الظلم عن نفسه كما قال زهير[٨٤]:

وَمَنْ لاَ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ ... يُهَدَّمْ وَمَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

يريد أن من يكف يده عن الناس فإنهم سيظلمونه ويستضعفونه، فكأن الظلم والاستبداد من طبيعة البشر كما قال المتنبي من بعد[٨٥]:

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَاعِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظْلِمُ

ومعنى زهير عبر عنه عمرو بن كلثوم في المعلقة[٨٦]:

لَنا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيها ... وَنَبْطِشُ حِيْنَ نَبْطِشُ قَادِرِينا

بُغَاةً ظَالِمِينَ وَمَا ظُلِمْنَا ... وَلَكِنَّا سَنَبْدَأُ ظَالِمِينا

وقد لا يفهم من قول زهير السابق أنه يدعو القوي إلى الظلم. وهو الشاعر الحكيم الذي مجد السلم وغنى له، ومدح دعاته وذم الحرب، وصور أهوالها، وكذلك من قول عمرو بن كلثوم الذي قال قصيدته منتصفًا لا بادئًا بالظلم عندما حاول الملك

---

[٨٣] الأعشى: ديوان الأعشى، ص١٢.

[٨٤] القرشي: جمهرة أشعار العرب ص١٧٤.

[٨٥] المتنبي، ابو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان أبي الطيب المتنبي. دار بيروت للطباعة والنشر، (د.ت)، ص٥٧١.

[٨٦] القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص٢٩٨.

www.mtenback.com

عمرو بن هند إذلاله، وقهر قومه، ولكن قد يفهم منهما هذا المبدأ مبدأ القوة العاملة على قهر الظلم ودفعه أو هو ما يسميه الناس اليوم الردع أي ردع القوة بالقوة فإذا كان المجتمع قويًا مانعًا لحوزته منعت قوته الأعداء من عدوانهم واستقر السلام والعدل في كلا المجتمعين القوي المانع بقوته قوة غيره،والمعتدي أو من يحدث نفسه بالاعتداء فإذا تكافأت القوتان صار العدل من الطرفين، ولعل مايسمى في عصرنا بالرادع النووي بين الدول التي تمتلك هذا السلاحُ هو مايفسر قول العرب بمعنى الظلم أي رد الظلم بالقوة. وإذا كانت العشيرة ضعيفة العصبية، ضعيفة القوة المادية تعرض لها الإذلال والظلم حتى لَتُذَاد عن الماء قهرًا وظلمًا فالقوي هو الذي يشرب الصفو[٨٧]:

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنا الماءَ صَفْواً ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنا كَدَرًا وَطِينا

وهو معنى لا يقف عند معناه الأول القريب ولكنه يتناول المعنى العام البعيد فالقوي هو الذي يتمتع بمزايا الحياة وأطايب الرغبات ويمارس السعادة في الأمر كله والضعيف يأتي تابعًا ذليلاً يأخذ ما يعف عنه القوي أو يتركه زهدًا به لمن يعيش على فتات الأشياء ويقتات على بقايا فضلاتهم في كل شيء سواء كان هذا الشيء مادياً أو معنوياً. وهو الذي فهمه العرب حين نفروا من القبول بمعنى الضعف واستنكروا وصف التخلف عن ممارسة القوة ومشاركة الأقوياء حقوقهم، وهذا أشار إليه من بعيد الشاعر النجاشي حين هجا بني العجلان فشكوه إلى عمر بن الخطاب حيث قال[٨٨]:

إِذَا اللهُ جَازَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ ... فَجَازى بَنِي العَجْلانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ

قُبَيِّلَةٌ لاَ يَغْدُرونَ بِذِمَّةٍ ... وَلاَ يَظْلُمونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

---

[٨٧] القرشي، جمهرة أشعار العرب ص٢٥٢

[٨٨] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيراوني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ١/ ٥٢.

www.mtenback.com

وَلاَ يَـرِدُونَ المَـــاءَ إلاَّ عَشِـــيَّةً إِذَا صَدَرَ الوُرَّادُ عَـــنْ كُـلِّ مَنْهَـلِ

وقوله: لا يظلمون الناس.. دليل على ضعفهم، وتخاذلهم، وأنهم لا يستطيعون فعل شيء، لا دليل على عفتهم وعدالتهم، وتورعهم عن الظلم. هذا هو المفهوم الجاهلي ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا المعنى استمر حينًا بعد الإسلام فهاهو الأخطل يهجو قوم جرير[٨٩]:

أَمَّا كُلَيْبُ بْنُ يَـرْبوعٍ فَلَيْـسَ لَهُـمْ عِنْـدَ التَّفَـارُطِ إِيْـرَادٌ وَلاَ صَـدَرُ

مُخَلَّفُونَ وَيَقضِـي النَّـاسُ أَمْرَهُـمُ وَهُمْ بِغَيْبٍ وَفِي عَمْيَاءَ مَـا شَـعَرُوا

مُلَطَّمُـونَ بِأَعْقَـارِ الحِيـاضِ فَمـا يَنْفَـكُّ مِـنْ دَارِمِـيٍّ فِيهِـمُ أَثَـرُ

ومدح الملوك والرؤساء بتحقيق العدل والإنصاف في الشعر الجاهلي ومن ذلك قول النابغة في مدح النعمان والاعتذار إليه[٩٠]:

أَبَـى اللهُ إلاَّ عَدْلَـهُ وَوَفَـاءَهُ فَلا النُّكْرُ مَعْرُوفٌ وَلاَ العُرْفُ ضَـائِعُ

ولكن ذلك قد فشا فشواً ظاهراً، بعد انتشار الإسلام، واستقرار الحكم المركزي، وتوحد الأمة تحت إمام له عماله. وإذا تتبعنا شعر جرير والفرزدق وهما من مقدمي المداحين نجد صفة العدل إحدى العمد التي يمدح بها الخليفة أو عماله. يقول جرير في يزيد بن عبد الملك[٩١]:

لَمَّا بَلَغْتُ إِمَامَ العَـدْلِ قُلْـتُ لَهُـمْ قَدْ كَانَ مِنْ طُولِ إِدْلاَجِي وَتَهْجِيْرِي

---

[٨٩] الأخطل، أبومالك غياث بن غوث التغلبي: ديوان الأخطل، صنعه: السكري، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١٩٧٠)، ٢٠٨/١.

[٩٠] النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، مصر، ط٢، (د.ت)، ص٣٩.

[٩١] جرير بن عطية بن الخطفي: ديوان جرير، دار صادر بيروت، (د.ت)، الأبيات بالترتيب في الصفحات: ١٩٥، ٣٥٤، ٣٥٥، ٤٠٩، ٤١٥.

www.mtenback.com

وقال في الحجاج:

وَلَــوْلا أَمِــيرُ المُؤْمنِيَــــن وَأَنَّــــهُ ... إِمــامٌ وَعَــدْلٌ لِلْبَرِيَّــةِ فَــــاصِلُ
وَبَسْطُ يَدِ الحَجَّاجِ بِالسَّيْفِ لَمْ يَكُــنْ ... سَبِيلَ جِهــــادٍ وَاسْــتُبِيحَ الحَلائِــلُ
خَلِيفَــةُ عَــدْلٍ ثَبَّــتَ اللهُ مُلْكَــــهُ ... عَلَى رَاسِياتٍ لَــمْ تُزِلْهــا الــزَّلاَزِلُ

وقال في هشام:

أَمِــيْرُ المُؤْمِنِــينَ قَضَــى بِعَــــــدْلٍ ... أَحَــلَّ الحِــلَّ وَاجْتَنَــبَ الحَرَامــــا

ويرى الفرزدق أن سليمان إنما أوتي ملك المشرقين بشيئين: البر والعدل[٩٢]:

وَأَعْطَاهُ بِالبِرِّ الَّــذِي فِــي ضَمِــيرِهِ ... وَبِالْعَدْلِ أَمْرَيْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْــــرِبِ

يقول في مدح هشام:

سَــيأْتي أَمِــيرُ المُؤْمِنَــينِ بَعْدلِــــــهِ ... عَلَى النَّاسِ وَالسَّبْعَيْنِ فِي رَاحَةِ اليَــدِ
وَلاَ ظُلْمَ مَــــا دَامَ الخَلِيفَــةُ قَائِمًــا ... هِشَامٌ وَمَا عَنْ أَهْلِــــهِ مَــنْ مُشَــرَّدِ

وفي مدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك:

فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِــــالعَدْلِ وَالتُّقَــى ... وَأَنْتَ ثَرى الأَرْضِ الحَيا وَطَهُورُهــــا

وكرر المعنى ثلاث مرات في قصيدة في مدح سليمان:

كَــمْ حَــلَّ عَنْــا عَــدْلُ سُــــنَّتِهِ ... مِــنْ مَغْــرَمٍ ثِقْــلٍ وَمِــنْ إِصْــــرِ
وَأَخَذْتَ عَــــدْلاً مِــنْ أَبِيــكَ لَنَــا ... وَقَلَعْــتَ عَنَّــا كُــلَّ ذِي كِــــبْرِ
مَــاتَ المَظَــالِمُ حِيْــنَ كُنْــتَ لَهَــا ... حَكَمًــا وَجِئْــتَ لَنَــا عَلَــى فَقْــرِ

---

[٩٢] الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة: ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٤هـ)
الأبيات بالترتيب في الصفحات ١/٢٢، ١/١٤٠، ١/ ٢٤٧، ١/ ٢٦٤، ٢٦٥

www.mtenback.com

فتلك نماذج من أدب المدح بالعدل، تعكس قيمة العدل الاجتماعية والأخلاقية، وصدى هذه الصفة النبيلة في نفوس الناس وشدة الحاجة إليها وقد تحول العدل صفة وممارسة إلى قيمة اجتماعية يفخر بها العرب ويمدح بها الشعراء فاحتلت مكانها في مكارم الأخلاق، وتحولت من صفتها الجاهلية إلى صفة إنسانية كريمة يحرص عليها الناس ويحبون الاتصاف بها ويحافظون على دلالتها.

الإنصاف:

والإنصاف من أبرز مآثر العرب في جاهليتهم حتى مع أعدائهم، قال أوس بن حجر[٩٣]:

وَلاَتُظْهِرَنْ ذَمَّ امْرِئٍ قَبْلَ خُبْرِهِ ... وَبَعْدَ بَلاَءِ المَرْءِ فَاذْمُمْ أَوِ احْمَدِ

ومن ذلك إنصافهم في الحديث عن قوة أعدائهم، وعدم تحقير شأنهم كما قال شاعرهم[٩٤]:

أُسُودُ شَرًى لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ

ومن ذلك قول عنترة في عدوه[٩٥]:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ ... لاَ مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلاَ مُسْتَسْلِمِ

بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَمِ

لأن قوة العدو المهزوم تدل على قوة المنتصر.

---

[٩٣] ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، دار بيروت ط٣، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٢٧

[٩٤] ابن منظور المصري: لسان العرب، ١٩/١٦٠ من طبعة بولاق.

[٩٥] القرشي، جمهرة أشعار العرب ٣٦٥.

www.mtenback.com

ولهم قصائد عرفت بالمنصفات: اشتهرت منها ثلاث فأولها قصيدة عامر بن معشر الذي ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار وسماه الأصمعي «المفضل البكري» وأولها[٩٦]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنا اسْتَقَلُّوا ... فَنِيَّتُنا وَنِيَّتُهُمْ فَرِيقُ

أبدى فيها إعجابه بأعدائهم بني حيي، وذكر بني عمرو بن عوف وأنصفهم كذلك، فقد أخذ القتل من قبيله وقبيلهم، وشبعت السباع من عشيرته وعشيرتهم، وبكت نساؤه ونساؤهم، وصرع منهم الحارث الوضاح، أصابته رماح بني حيي، ولكنهم مع ذلك قتلوا به غلامًا كريمًا من قومه. يقول[٩٧]:

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ غَدَاةَ جِئْنا ... بِبَطْنِ أُثَالَ ضَاحِيَةً نَسُوقُ

هُمُ صَبَرُوا وَصَبْرُهُمُ تَلِيدٌ ... عَلَى العَزَّاءِ إِذْ بَلَغَ المَضِيقُ

فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرِدًا وَجِئْنا ... كَسَيْلِ العَرْضِ ضاقَ بِهِ الطَّرِيقُ

مَشَيْنَا شَطْرَهُم وَمَشَوْا إِلَيْنا ... وَقُلْنَا الْيَومَ مَا تُقْضَى الحُقُوقُ

فَأَشْبَعْنا السِّبَاعَ وَأَشْبَعُوها ... فَرَاحَتْ كُلُّها تَئِقٌ يَفُوقُ

فَأَبْكَيْنا نِسَاءَهُمُ وَأَبْكَوا ... نِساءً مَا يَسُوغُ لَهُنَّ رِيقُ

قَتَلْنا الحَارِثَ الوَضَّاحَ مِنْهُمْ ... فَخَرَّ كَأَنَّ لُمَّتَهُ العُذُوقُ

أَصَابَتْهُ رِمَاحُ بَنِي حُيَيٍّ ... فَخَرَّ كَأَنَّهُ سَيْفٌ دَلُوقُ

وَقَدْ قَتَلُوا بِهِ مِنَّا غُلَامًا ... كَرِيمًا لَمْ تُؤَشِّبْهُ العُرُوقُ

---

[٩٦] الخالديان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم: الأشباه والنظائر، تحقيق: د. سيد محمد يوسف، القاهرة، (١٩٥٨م)، ص١٤٩-١٥٣.

[٩٧] الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب: الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف ط٥ (د.ت)، ص ١٩٩

www.mtenback.com

والمنصفة الثانية لعبد الشارق بن عبد العزيز الجهني[٩٨]:

أَلاَ حُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نُحَيِّيهَا وَإِنْ بَخِلَتْ عَلَيْنَا

يقول فيها:

شَدَدْنا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُم ثَلاَثَةَ فِتْيَةٍ وَأَسَرْتُ قَيْنَا

وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوا جُوَيْنَا

والمنصفة الثالثة للعباس بن مرداس السلمى[٩٩]:

لأَسْمَاءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ مِنْهَا رَحْرَحَانُ فَرَاكِسَا

غزت بنو سليم ورئيسهم عباس بن مرداس مرادًا، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب فالتقوا بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقتل من كبار مراد ستة، وقتل من بني سليم رجلان، وصبر الفريقان، وأدى الأعداء للحرب حقها.فقال العباس قصيدته التي على السين وهي إحدى المنصفات[١٠٠] ومنها:

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلاَ مِثْلَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا فَوَارِسَا

أراد بالحي المصبح بني زبيد من مراد. قال المرزوقي: لم أر مغارًا عليه كالذين صبحناهم ولا مغيرًا مثلنا يوم لقيناهم فقسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه وأصحابهم وتناول بالمدح كل فرقة منهم. ثم قال:

أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيوفِ قَوانسا

---

[٩٨] الخالديان: الأشباه والنظائر: ١٥٢/١

[٩٩] الخالديان: الأشباه والنظائر، ١٥٣/١، والأصمعيات ص ٢٠٤.

[١٠٠] البغدادي عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب الألسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، (د.ت)، ٨/ ٣١٩ ــ ٣٢٢

www.mtenback.com

جعل الشطر الأول لأعدائه، والثاني لعشيرته يقول: فلم أر أحسن كرًا وأبلغ حماية للحقائق منهم، ولا أضرب للقوانس منا وذلك منتهى العدل عندما يتحدث العربي عن عدوه فينصفه ولا يهضم حقه، ويعلي مكانه ويذكره بما يستحق من الحمد.

ثم يقول:

إِذَا مَا حَمَلْنا حَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ المَذَاكِي وَالرِّمَاحَ المَدَاعِسَا

أي: إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا، ونصبوا صدور الخيل القُرّح والرماح المعدة للدفع. هذا من باب التناصف، ويروى أن أول من أنصف في شعره المهلهل بن ربيعة حيث قال[١٠١]:

كَأَنَّا غُدْوَةً وَبَنِي أَبِينَا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

وكان الفارس لا يبارز غريمه، ولا يقاتله إلا إذا أنصفه، أي عرض عليه أمورًا يختار منها، من ذلك ما روي من أن علي بن أبي طالب حين أراد مبارزة عمرو بن عبد ود يوم الخندق، قال: يا عمرو، إنك كنت قد أخذت على نفسك عهدًا ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أجبته إلى واحدة منهما. قال: أجل، فقال علي رضي الله عنه: إني أدعوك إلى الله تعالى ورسوله، وإلى الإسلام، فقال: أما هذه فلا حاجة لي فيها،فقال علي رضي الله عنه: فإذا كرهت هذه فإني أدعوك إلى النزال[١٠٢].

ومنه المثل المشهور «قد أنصف القارة من راماها»[١٠٣] والقارة قبيلة سموا قارة لاجتماعهم،وهم رماة الحدق في الجاهلية.

ويزعمون أن رجلين التقيا أحدهما قاري، فقال القاري: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك. فقال الآخر: قد اخترت المراماة، فقال القاري:

---

[١٠١] المصدر السابق نفسه ٣٢٦/٨.

[١٠٢] سيد السبلنجي: نورالإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار مصر، (د.ت) ص٨٧

[١٠٣] الميداني: مجمع الأمثال، ١٠٠/٢

www.mtenback.com

قَدْ أَنْصَفَ القَارَةَ مَنْ رَامَاهَا
إِنَّا إِذَا مَا فِئَةٌ نَلْقَاهَا
نَرُدُّ أُولاَهَا عَلَى أُخْرَاهَا

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده. والعدل هو الإنصاف حين لا يحول الحرب ولا تحول العداوة دون أن يكون القائل عادلاً في قوله منصفًا لأعدائه في الحرب، كما ينصف ويعدل في أصدقائه. ولا شك أن هذه الخصلة الكريمة كانت من أشرف خصال العرب ومكرمة من مكارم أخلاقهم في الجاهلية وحين جاء الإسلام أصابها شيء كثير من التطور فارتقت صفة العدل إلى كل العلاقات الإنسانية وتأصلت في النفوس وصارت قيمة يحرص على تطبيقها والعمل بها الناس كافة ولكنها عند القادر أكثر أهمية وأكثر قيمة.

وعرفوا الإنصاف في الحكم والحكومة، والمنافرة، وتمادحوا به وطلبوه، وكانوا يتحاكمون إلى من يتوقعون منه الإنصاف ويكون حكمه خلوًا من الأهواء، ولذلك يقول الأعشى لما تحاكم إليه علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل، فحكم للثاني على الأول، وكانا أقاما سنة عند هرم بن سنان لا يحكم لأحدهما على الآخر[١٠٤]:

عَلْقَمُ لا لَسْتَ إِلى عَامِرٍ ... النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ
سُدْتَ بَنِي الأَحْوَصِ لم تَعْدُهُمْ ... وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ

ثم يقول:

حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَاهِرِ
لاَ يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ ... وَلاَ يُبَالِي غَبَنَ الخَاسِرِ

[١٠٤] الأعشى: ديوان الأعشى، ص٩٣-٩٤، وانظر ابن رشيق: العمدة، ج١، ص٥٢.

www.mtenback.com

ومن ذلك قصيدة عوف بن الأحوص في المفضليات[١٠٥]:

وهُدِّمَتِ الحِيَاضُ فَلَمْ يُغَادَرْ ... لِحَوْضٍ مِنْ نَصَائِبِهِ إِزَاءُ

قال في الكلام على القصيدة: «كان بعض بني جعفر قد لقوا ربيعة الشر بن كعب، فشدوه وثاقًا وأهانوه. فقام أخوه الهَصَّانَ، واسمه عامر بن كعب وقال: يا بني جعفر! ردوا إلي إسار أخي أو حكموني. فأبى ذلك بنو جعفر فقال عوف بن الأحوص: هذا ابني دَأْبٌ فاصنعوا بِه ما صنع بصاحبكم. فأبى ذلك بنو بكر، واجتمع القوم بعضهم إلى بعض. فلما رأى ذلك عوف أتى الهَصَّانَ فحكمه، فحكم لأخيه بأربعين من الإبل، فضمنها أنس بن عمرو بن أبي بكر من عوف فأداها فقال عوف هذا الشعر، وأشار إلى التحكيم وطلب النصفة فيه وندد بالاشتطاط،وعرض ابنه دابًا أن يحكموا فيه بما يشاؤون... ،يقول:

أُقِرُّ بِحُكْمِكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا ... وَأَلْزَمُهُ وَإِنْ بُلِغَ الفَنَاءُ

فَلاَ تَتَعَوَّجُوا فِي الْحُكْمِ عَمْدًا ... كَمَا يَتَعَوَّجُ العُوْدُ السَّرَاءُ

وَلاَ آتِي لَكُمْ مِنْ دُونَ حَقٍّ ... فَأُبْطِلُهُ كَمَا بَطَلَ الحِجَاءُ

فَإِنَّكَ وَالحُكومةَ يَا ابْنَ كَلْبٍ ... عَلَيَّ وَأَنْ تُكَفِّنَنِي سَوَاءُ

وعرفوا مثل هذا التحكيم في الجانب الأدبي، ومن ذلك ما دار في قبة النابغة في عكاظ حيث حكم بين الأعشى والخنساء وحسان[١٠٦].

وكحكم أم جندب لعلقمة على امرئ القيس في وصف الفرس[١٠٧].

---

[١٠٥] المفضل الضبي: المفضليات، ص١٧٣-١٧٤

[١٠٦] مطاع صفدي وآخرون: موسوعة الشعر الجاهلي، بيروت، (١٩٧٤)، ٢/١٤٥.

[١٠٧] المصدر نفسه، ٢/١٤٥ ووردت قصة علقمة مع امرئ القيس في قصص العرب محمد جاد المولى وآخرون ط رابعة ١٣٨١ دار إحياء الكتاب العربي، ١/١٦ وفي المفضليات٣٩٠ في سبب تسميته الفحل.

www.mtenback.com

واستمر هذا الأمر طويلاً بعد الإسلام، ومن المشهور حكم الراعي النميري بين جرير والفرزدق:

يَا صَاحِبَيَّ دَنَـــا الـــرَّوَاحُ فَسِـــيْرَا غَلَبَ الفَرَزْدَقُ فِي الهِجَـــاءِ جَرِيْـــرَا

فكانت القصيدة الدماغة[١٠٨].

واجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان والي الكوفة وكان يغري بين الشعراء. فقال، بشر للأخطل: احكم بين الفرزدق وجرير. فقال: الفرزدق ينحـــت من صخر، وجرير يغرف من بحر، فلم يرض جرير بذلك. ثم اتفق أن محمد بن عطـــارد رشا الأخطل، وكساه حلة على أن يفضل الفرزدق ويهجـــو جريـــرًا ففعـــل فقـــال جرير[١٠٩]:

يَاذَا العَبَاءَةِ إِنَّ بِشْـــرًا قَـــدْ قَضَـــى أَلاَّ تَجُـــوزَ حُكُومَـــةُ النَّشْـــــوَانِ

فَدَعُوا الحُكُومَةَ لَسْتُمُ مِـــنْ أَهْلِهَـــا إِنَّ الحُكُومَـــةَ فِـــي بَنِـــي شَـــيْبَانِ

هذا وقد دعا الإسلام إلى الإنصاف عمومًا، جاء في الحديث: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك....»[١١٠].

ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه مواقف مشرفة في إنصاف الرعية من الرعـــاة. ومساعدتهم على الإنصاف لأنفسهم. منها أن رجلاً كان مع أبي موسى الأشـــعري وكان ذا صولة ونكاية في العدو فغنموا مغنمًا فأعطاه أبو موسى بعض سهمه، فأبى أن يقبله إلا جميعًا، فجلده أبو موسى عشرين سوطًا وحلقه فجمع شعره، ثـــم ترحـــل إلىعمر بن الخطاب، حتى قدم عليه فشكا، وأخبره بأمره وهو يرى أنه لا يقتص منـــه فقال عمر: لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا، أحب إليّ من جميع ما أفـــاء الله

---

[١٠٨] ديوان جرير: دار صادر بيروت (د.ت)، ص ٥٨.

[١٠٩] ديوان جرير ص٤٧١

[١١٠] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج١، ص ١٠٣، حديث رقم ٢٠.

www.mtenback.com

علينا فكتب عمر إلى أبي موسى: سلام عليك، أما بعد: فإن فلانًا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس، فاقعد له في خلاء من الناس،حتى يقتص منك، فقدم الرجل فقال له الناس: اعف عنه. فقال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد أبو موسى ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال:اللهم إني قد عفوت عنه[١١١].

وقال عمرو بن العاص مرة لرجل من تجيب «بطن من بطون كندة»: يا منافق فشكا التجيبي إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين إن عمرًا نفقني، ولا والله ما نافقت منذ أسلمت، فكتب عمر إلى عمرو: وكان إذا غضب كتب: إلى العاصي ابن العاصي أما بعد: فإن فلانًا التجيبي ذكر أنك نفقته، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين، أو قال سبعين، فقام فقال: أشهد الله رجلاً سمع عمرًا نفقني إلا قام فشهد: فقام عامة من في المسجد، فقال له حنتمة: أتريد أن تضرب الأمير؟ وعرض عليه الأرش [دية الجرح] فقال: لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت، فقال له حنتمة: أتريد أن تضربه؟ قال: ما أرى لعمر هنا طاعة، فلما ولى قال عمرو: ردوه. فأمكنه من السوط وجلس بين يديه، فقال: أتقدر أن تمتنع عني بسلطانك! قال: لا فامض لما أمرت به.قال فإني قد عفوت عنك[١١٢].

وكان رضي الله عنه يفعل ذلك بنفسه، فيمكن الناس أن يقتصوا منه، إذا تبادر إلى ظنه أنه ظلمهم، وهو مؤتس في ذلك بالرسول ﷺ. فقد روى ابن هشام أن الرسول ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح (سهم) يعدل به القوم، فمر

---

[١١١] السيد الجميلي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٠٠.

[١١٢] المصدر نفسه، ص ١٠١.

www.mtenback.com

بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار. فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استو يـــا سواد. فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني.فكشـــف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استقد؛ فاعتنقه فقبل بطنه... الخبر[١١٣].

أما الانتصاف فهو أخذ الحق من الخصم، ولما كان الإسلام يقوّم اعوجاج كـــل مبدأ وجده، دعاهم إلى العدل في الانتصاف، وعدم مجاوزة الحد، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى﴾[١١٤]، ويقـــول تعـــالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[١١٥].

بل إنه تعالى ليدعو إلى الصفح والعفو في أكثر من موضع، يقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، ثم يقـــول: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، وقـــال: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ ثم قال: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾.

وقد عرفت السنن البشرية والأديان السماوية هذا النوع من العدل والتســـامح، وبالغت به حتى يتحقق بعضه إن لم يستطع كله[١١٦].

ويرى بعض علماء الأخلاق أن العفو والتسامح من ضرورات الحياة الاجتماعية يقتضيها التعارض الذي يبدو في كثير من الأحيان بين مصالح الأفراد، المؤسس علـــى

---

[١١٣] ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٣٢٠.

[١١٤] سورة البقرة: الآية ١٧٨.

[١١٥] سورة النحل: الآية ١٢٦.

[١١٦] نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق، ص ٢٥٦.

www.mtenback.com

التصور الفردي الذاتي للمصلحة ومصالح المجموعة، إنه وسيلة للتعايش الجماعي، لـــولاه لاضطرب الوضع الاجتماعي، وتمزق الوجود الإنساني العام[١١٧].

ولا بد أن يكون العدل صادراً عن قوة فالذي يعدل ويعفو عن بعض حقـــه أو جله أو كله وهو قادر على الحصول عليه، ليس كالذي يفعل ذلك تحت تأثير معين من خوف أو رغبة، وقد صارت صفة العدل عند العرب من أهم الخصال المحببة والمقبولـــة اجتماعيًا.

وإذا جار واحد منهم عن الإنصاف والعدل ردعوه ردعًا لا يترك لغيره مطمعًـــا بالجور، من ذلك أن مهلهلاً لمّا جار في حق بجير وتكلم في قتله بكلمات حقرت العربي الذي سعى للصلح وقال كلمته المشؤومة «بؤ بشسع نعل كليب» ثار الحارث بن عباد غضبًا لكرامته وردعًا لمن لم يقبل العدل، وكان قبل ذلك معتزلاً الحرب فركـــب لهـــا وقال قصيدته اللامية والتي منها[١١٨]:

قَرِّبـــا مَرْبِـــطَ النَّعَامَـــــةِ مِنِّـــــي ... لِبُجَـــيْرٍ مُفَكِّـــكِ الأَغْـــــلاَلِ

قَرِّبـــا مَرْبِـــطَ النَّعَامَـــــةِ مِنِّـــــي ... إِنَّ قَتْلَ الرِّجَـــالِ بِالشِّسْـــعِ غَـــالِ

وكان من شأنهم معاقبة غير الجاني كما قيل: «قد يؤخذ الجار بحـــق الجـــار» وورد على الحجاج يوسف بن سليك بن سلكة فقال: أصلح الله الأمير أرعني سمعـــك واغضض عني بصرك، واكفف عني غربك. فإن سمعت خطأ أو زللاً فدونك والعقوبة. قال: قل فقال: عصى عاص من عرض العشيرة، فحُلّق على اســـمـــي وهـــدم مـــنزلي، وحرمت عطائي. قال: هيهات! أو ما سمعت قول الشاعر:

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِـــي عَلَيْـــكَ وَقَـــدْ ... تُعْدِي الصِّحَـــاحَ مَبَـــارِكُ الْجُـــرْبِ

---

[١١٧] محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق.

[١١٨] البغدادي، خزانة الأدب، ١/٤٧٢-٤٧٣

www.mtenback.com

وَلَـرُبَّ مَـأْخُوذٍ بِذَنْـبِ عَشِـيرَةٍ وَنَجا الْمُقَـارِفُ صَـاحِبُ الذَّنْـبِ

فقال: أصلح الله الأمير إني سمعت الله عز وجل يقول غير هذا. قال:و ما ذاك؛ قال: قال تعالى:﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾(١١٩).

قال الحجاج: علي بيزيد بن أم مسلم. فمثل بين يديه. فقال: افكك لهذا عن اسمه، واصكك له بعطائه، وابن له منزله، ومر مناديًا ينادي: صدق الله وكذب الشاعر(١٢٠).

هذان الخبران يدلان على مدى ماأصاب القيم العربية من تكيف مع روح الإسلام ومن تغير إلى طبيعة الحياة كما تسامت أخلاق العرب وارتفعت لتوافق المدى الذي صارت إليه الأمة بعد أن أصبحت دولة ودستوراً تحترم قيم الإنسان وأخلاقه وتنمي روح العدالة الاجتماعية في كل دلالالتها.

العدل والمساواة:

المساواة مبدأ مستقل وقيمة منفصلة، لكن لها صلة وثيقة بالعدل، وقد كان للإسلام دورٌ حضاريٌ وإنسانيٌ عظيم في حياة البشرية عندما أصرّ على إقرارها، فقرر مساواة الناس أمام القانون،ومساواتهم في الحقوق العامة، فلا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود، ولا لغني على فقير إلا بالتقوى، إذ أصلهم واحد، كلهم لآدم وآدم من تراب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١٢١).

---

(١١٩) سورة يوسف: ٧٨-٧٩.

(١٢٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد ١/ ٣٠ ــ ٣١

(١٢١) سورة الحجرات آية ١٣

www.mtenback.com

وقد عرف العرب في مجتمعاتهم العدل وآمنوا بقيمته وحرصوا على التمسك به، وبالمساواة حتى وإن كانت ليست دائمًا. فقد تلتقي مع العدل وقد تفارقه، فتكون المساواة عدلاً في أمور منها: أمام القانون: فلا يفرق بين الناس لجنس أو لون، كل يعاقب بجريمته إذا أخطأ. ولما جاء أسامة ليشفع في المرأة المخزومية التي سرقت قال له النبي ﷺ أتشفع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟! إنما أهلك الذين من قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحدَّ، وأيم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها[١٢٢].

ومنها المساواة في الحقوق، فكل إنسان له من حق الحرية وحق الحياة ونحو ذلك ما للآخر، وليس لأحد الحق فى أن يخطب أو ينشر رأيه دون الآخر، بل كل الناس فى ذلك سواءٌ، للأمير من الحق ما لأحد الرعية.

ومما تجب فيه المساواة إتاحة الفرص المتساوية لأفراد المجتمع في الإفادة مما يسره الله لهم من خيرات، وما تقدمه الدولة من خدمات، ويدخل في ذلك الأمور الاقتصادية، فالمال مال الله، وللفقراء والمساكين حق فيه. والإسلام يحترم الملكية الفردية، ويبيحها، ولكنه أخرج من نطاقها الأشياء الضرورية لجميع الناس، وقد عد الرسول ﷺ من ذلك الماء والكلأ، والنار، حيث قال: المسلمون شركاء في ثلاثة[١٢٣]. ويقاس على هذا المرافق العامة التي تختلف من عصر إلى عصر.

وهذا المفهوم هو الذي قرره الرسول ﷺ في حجة الوداع، وقد تحقق ذلك بعض التحقق في حياة المسلمين، فكان قراء القرآن السبعة المشهورون خمسة منهم من الموالي، وكان طارق بن زياد فاتح الأندلس إفريقيًا غير عربي، وكان عبادة بن

---

[١٢٢] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحدود، م٨، ص١٣.

[١٢٣] أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط١، (١٩٨١م)، قال أبو عبيد هذه الثلاثة جاءت تسميتها في غير حديث ولا اثنين ص ١٢٤.

www.mtenback.com

الصامت زعيم وفد المسلمين للمفاوضة مع المقوقس في شأن حصن، أسود اللون، فلما رآه هابه وقال: نحوه عني، وقدموا غيره. فردوا عليه بأنه أفضلهم رأيًا، وأنه سيدهم، والمقدم عليهم، وأن الأمير أمّرهُ عليهم فلا يخالفونه.. وكان ذوو الرأي في الأمصار من الموالي فالحسن البصري ومحمد بن سيرين في البصرة، وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير بمكة، وزيد بن أسلم ونافع بن أبي نجيح في المدينة، وطاووس وابنه وابن منبه في اليمن[١٢٤].

ومما تكون المساواة فيه غير العدل ثمرة الجهد غير المتساوي. مثال ذلك الفارس في الحرب يأخذ ضعف نصيب الراجل من الغنائم لأن جهده مضاعف كأنه يقاتل بنفسه وفرسه، وهذا ما أشار إليه ابن مسكويه في حديثه عن العدل المدني: «وليس يمنع مانع من أن يكون عمل يسير يساوي عملاً كثيراً، ومثال ذلك. المهندس ينظر نظرًا قليلاً، ويعمل عملاً يسيرًا ويساوي نظره هذا عملاً كثيرًا من أقوام يكدون بين يديه ويعملون بما يرسمه، وكذلك صاحب الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرًا ولكن يساوي أعمالاً كثيرة ممن يحارب بين يديه، ويعمل الأعمال الثقيلة العظيمة»[١٢٥].

ويحتج بعض علماء الأخلاق لعدم المساواة هنا بحجج منها أن الناس مختلفون بطبيعتهم في قواهم وملكاتهم، فمنهم الذكي والغبي والحاذق والأبله والكفء وغير الكفء. هكذا خلقهم الله وهكذا ولدوا، فمن الخرق أن نمكن الأغبياء والبله وغير الأكفاء من إدارة الأعمال الواسعة، وأن نمنحهم منحًا كبيرة لا يستطيعون أن يتمتعوا بها.

ومنها أن الاختلاف بين الناس يبعثهم على الجد، فالفقير إذا رأى الغني يتمتع بأكثر مما يتمتع به هو، جدّ في العمل ليكون مثله، وحامل الشهادة الثانوية إذا رأى

---

[١٢٤] صقر، عطية: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ٣٥٨.

[١٢٥] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق ص ١١٦.

www.mtenback.com

حامل الشهادة العالية يمتاز بامتيازات أكثر منه رغب وعمل ليكون مثله وهكـــذا[١٢٦].

ولأمرٍ ما سقط النظام في الاتحاد السوفيتي (السابق) حين سوى بين المجدّ وغـــير المجـــد والعامل وغير العامل.

ومما يدل على أن المساواة ليست دائمًا هي العدل فعل عمر في تقسيم المال، فقد كان رضي الله عنه يحلف على أيمان ثلاثة، يقول: «والله ما أحد أحق بهذا المال مـــن أحد، وما أنا أحق له من أحد، والله ما من المسلمين من أحد إلا وله فى هـــذا المـــال نصيب إلا عبدًا مملوكًا، ولكنا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا مـــن رســـول الله، فالرجل وبلاؤه في الإسلام والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإســـلام، والرجل وحاجته.

وكان يقول: إن الله جَعلني خازنًا وقاسمًا، وإني بادئ بأزواج النبي ومعطيهن ثم المهاجرين الأولين أنا وأصحابي، أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا. ثم الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان، من قبلهم، ثم قال: فمن أسرع إلى الهجرة أسرع به إلى العطـــاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطئ به عن العطاء، ولا يلومَنَّ امرؤ إلا مناخ راحلته. وقد الـــتزم بهذا المبدأ التزامًا صارمًا، فقيل له: ابدأ بنفسك، فأنت الخليفة فأبى وقال: ضعوا عمـــر حيث وضعه الله.

وروي أن عمر قسم ثيابًا بين نساء المدينة فبقي منها ثوب جيد، فقال له بعض من عنده: أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك يعنون زوجه أم كلثوم بنت علـــي ابن أبي طالب فقال: أم سليط أحق به كانت تحمل القرب يوم أحد[١٢٧].

أما أبو بكر فإنه لما أُتي بالمال جعل الناس فيه سواءً، ولما كلم فى أن يفضل بين الناس في القسم قال: فضائلهم عند الله فأما هذا المعاش فالتسوية فيه خير، وقد رجـــع

---

[١٢٦] أمين، أحمد: كتاب الأخلاق ص ٢٢٤.

[١٢٧] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو، ج٣، ص٢٢٢.

www.mtenback.com

عمر في أخرياته إلى هذا الرأي ولكنه توفي قبل إنفاذه فكان يقول: لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيانًا (شيئًا) واحدًا[١٢٨].

وكان سفيان بن عيينة يفسر مذهبيهما يقول: «ذهب أبو بكر في التسوية إلى أن المسلمين إنما هم بنو الإسلام كإخوة ورثوا آباءهم، فهم شركاء في الميراث، تتساوى فيه سهامهم، وإن كان بعضهم أعلى من بعض في الفضائل ودرجات الدين والخير، وذهب عمر إلى أنهم لما اختلفوا في السوابق حتى فضل بعضهم على بعض وتباينوا فيها، كانوا كإخوة العلات (أي الإخوة لأب) غير متساوين في النسب، ورثوا أخاهم أو رجلاً من عصبتهم، فأولاهم بميراثه أمسهم به رحمًا، وأقعدهم إليه في النسب. عنى بقوله أمسهم به رحمًا: أن أخاه لابيه وأمه يحوز الميراث دون أخيه لأبيه، وإن كان الآخر أخاه، فكذلك هو ميراث الإسلام، أولاهم بالتفضيل فيه أنصرهم له وأذبهم عنه[١٢٩].

وكون المساواة غير العدل يتضح في كثير من مناحي الحياة من حولنا، فرجل المرور الذي يتدخل في عمل إشارة المرور ليجيز بالمرور من كانوا في جهة مزدحمة، خارقًا بذلك مبدأ المساواة الذي صممت الآلة عليه، يكون قد قام بعين العدل حين يسر للناس مرورهم، وكذلك يفعل عند عودتهم، ولا يدعي أحد أن ما فعله ظلم وحيف، بل حق وعدل وتنظيم.

ضروب العدل:

العدل ضربان: أحدهما يوصف به المجتمع أو الأمة، وآخر يوصف به الأفراد، فيقال: إنسان عادل.فالعدل في الأفراد: أن كل إنسان له الحق في التمتع بنصيب من الخيرالذي ينال المجتمع فيأخذ نصيبه لا أكثر، وإعطاؤه الناس حقوقهم لا أقل هو العدل.

---

[١٢٨] أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال ١١٣.

[١٢٩] المصدر نفسه، ص ١١٤.

www.mtenback.com

والفرد مطالب بالعدل في أمور كثيرة، فالأب مطالب بالعدل بين أولاده، والزوج مطالب به بين أزواجه، والولي مطالب به في مال اليتيم، والشاهد مطالب به في شهادته، والكاتب والشاهد والدائن والمدين والبائع والمشتري، كلهم مطالبون به.. فالعدل يعم كل مناحي الحياة.

وأول عدل يطالب به الفرد عدله مع نفسه بأن يوازن بين حق نفسه، وحق ربه، وحقوق غيره، كما قال ﷺ لعبد الله بن عمرو حين جار على حق نفسه بمداومة صيام النهار وقيام الليل: «إن لبدنك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لزورك عليه حقًا»[١٣٠].

واجتمع ثلاثةُ نفرٍ من الصحابة يسألون عن عبادة الرسول ﷺ فكأنهم تقالوها؛ قالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال بعضهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال آخر: أنا أقوم الليل ولا أنام ولا أتزوج النساء، وقال آخر: أما أنا فلا آكل اللحم، فقال: ﷺ ولكني أصوم وأفطر وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني[١٣١].

وهذا هو العدل بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وهومن مزايا الإسلام الكبرى، لا رهبانية فيه، لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون هذا الدين مبنيًا على قواعد العلم، وقد قرر العلم أن العقل السليم في الجسم السليم، وأن السمو الروحي لا يأتي من حرمان الجسد، وتنحيته عن حاجاته ومطالبه، وإنما يأتي من توفية تلك الاحتياجات وتحقيقها في دائرة القصد والاعتدال.

ثم بعد ذلك تتوارد صور العدل في الأفراد فالأب مأمور بالعدل بين أبنائه في المعاملة والتربية والأعطيات؛ فلا يفضل ذكرًا على أنثى، ولا كبيرًا على صغير، ولا

---

[١٣٠] والحديث في صحيح مسلم ج٢/٨١٣ برقم ١١٥٩.

[١٣١] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/١٠٤ رقم ٥٠٦٣.

www.mtenback.com

يعاقب واحدًا على ذنب ويدع الآخر؛ ولايخص بعضهم بحلو الكلام،ويغلظ لبعض، وليس له أن يوصي لواحد من ورثته بشيء؛ لأن في ذلك حيفًا على غيره، وحين أراد بشير بن سعد الأنصاري أن يشهد الرسول ﷺ على هبة آثر بها بعض أولاده، سأله النبي ﷺ: أكل ولدك أعطيتهم مثل هذا، قال:لا، قال: أشهد على هذا غيري[١٣٢].

والرجل مأمور بالعدل بين زوجاته: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[١٣٣] وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[١٣٤]. فأباح تعدد الزوجات ولكنه شرطه بالعدل، فمن لم يتأكد من قدرته على العدل لم يجز له أن يتزوج أكثر من واحدة. والمراد بالعدل هنا العدل المادي في المسكن والملبس والطعام والشراب والمبيت، وكل ما يتصل بمعاملة الزوجات. وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾[١٣٥]. فسرها أكثر المفسرين بأنه لا تجوروا ولا تميلوا، ففي الحديث عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «لا تجوروا وفي رواية لا تميلوا» و أصل العول الميل يقال عال الميزان عولاً إذا مال وعال الحاكم في حكمه إذا جار لأنه إذا جار فقد مال[١٣٦].

وأفادت الآية الثانية أن العدل في المحبة والميل الطبيعي غير مستطاع؛ لأنه ليس تحت قدرة البشر وأن على الزوج ألا يميل عن الأولى كل الميل فيذرها كالمعلقة لا هي

---

[١٣٢] الألباني، صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٤٥ – كتاب الهبات برقم ١٩٢٢.

[١٣٣] سورة النساء: ٣.

[١٣٤] سورة النساء: ١٢٩.

[١٣٥] سورة النساء: ٣.

[١٣٦] الرازي: التفسير الكبير، ١٨٣/٩.

www.mtenback.com

ذات زوج، ولا هي مطلقة، بل عليه أن يعاملها باللطف والحسنى بما استطاع ليكسب مودتها ويصلح قلبها.

وقد زعم بعض الناس أن القرآن يمنع التعدد في الآيتين، فالأولى تشترط لإباحة التعدد العدل بين الزوجات، والثانية تقطع باستحالة العدل بينهن، فكأن التعدد مشروط بما يستحيل إمكانه فهو ممنوع، ولكن النظر يرد هذه الدعوى لأن العدل المشروط هو العدل المادي، والعدل المقطوع بعدم استطاعته هو العدل المعنوي[١٣٧] وقد علم الله طبيعة النفس الإنسانية وأنها لا تستطيع العدل، فخاطب الإنسان بما يستطيع فنهاه عن كل الميل، ومعنى ذلك أن بعض الميل لا بد أن يقع، وهو مما لا يحاسب الله عليه الزوج، ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

ومن العدل المطلوب العدل في الصلح، وعدم محاباة فريق على فريق؛ لأن المصلح إن لم يكن عادلاً لم يكن مقنعًا؛ وبالتالي فإنه لا يقضي على أسباب الخلاف، وإن كان قد يرجئ ظهوره وإن ظهر فسيكون أعنف[١٣٨]. قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١٣٩].

ومما يجب العدل فيه كتابة الدين والبيوع بصورة واضحة لا تدع مجالاً للاختلاف والتنازع، بل تضمن الحقوق والوفاء بها، وأوجب أن يقوم بتوثيق هذه

---

[١٣٧] السباعي، مصطفى: المرأة بين الفقه والقانون ص ٩٩.

[١٣٨] المعلمي، يحيى: مكارم الأخلاق في القرآن دار عكاظ للنشر والتوزيع، ط٢، (١٤٠٠هـ)، ص٢٥١.

[١٣٩] سورة الحجرات: الآية ٩.

www.mtenback.com

المعاملات كاتب عدل، وجعل حق الإملاء لمن عليه الحق أو وليه حتى لا يؤخذ على غرة، أو يكتب عليه ما لا يعترف به، أو يدعي الجهل به، أو عدم الفهم لما التزم به من حقوق وواجبات، وأوصاه بالتقوى والعدل وألا يبخس منه شيئا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾[١٤٠].

ومن العدل الواجب أيضًا، العدل في المبايعة: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[١٤١] فالتطفيف ظلم، وقد قرنه المولى عز وجل بأكل مال اليتيم، إشارة إلى أنهما يشتركان في استغلال ضعف الناس، فاليتيم ضعيف لا يعرف ما يصنع وليه في ماله، والمشتري ضعيف لا يستطيع أن يتقن ما أتقنه المطففون من مكر ودهاء[١٤٢]. ولقبح التطفيف قرنه المولى بالكفر وعقابه يوم القيامة: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾.

وجعل من تطفيفهم دليلاً على نسيانهم موقف الحساب وقد جعل الله من قوم شعيب عبرة في هذا المجال إذ أنكروا على نبيهم الأمر بالتوفية وإعطاء الناس حقوقهم فأهلكهم الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ

---

(١٤٠) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(١٤١) سورة هود: ٨٥

(١٤٢) عاشور، عبدالفتاح: الوصايا العشر، ط١، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص١٥٢.

www.mtenback.com

الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[١٤٣].

ومما يجب العدل فيه القول والشهادة، لأن الشهادة الصحيحة هي التي تميز الحق من الباطل وتحفظ الحق لصاحبه، وترد المعتدي عن عدوانه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[١٤٤]. وفي الطلاق: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[١٤٥]. لأن إقامة الشهادة على وجهها مرضاة لله تعالى. ومن ثم عد كتمان الشهادة والكذب فيها من أقبح الفجور وأكبر الكبائر، فهي تعين الظالم على ظلمه، وفيها تضليل للعدالة، ولذا جاء الحديث عن أبي بكرة: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس.. وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور.ألا وشهادة الزور. فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[١٤٦] وهذا التحذير: سببه أن شهادة الزور قاصمة للحقيقة، وربما أهلكت أمة وأبادت شعبًا.

والمؤمن مأمور بالعدل في قوله كله؛ لأن ذلك مظهر من مظاهر الإيمان، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ والكذب ضد العدل في القول وهو ممنوع ولو في المزاح؛

---

[١٤٣] سورة هود، ٩٤ - ٩٥.

[١٤٤] سورة المائدة: ١٠٦.

[١٤٥] سورة الطلاق: ٢.

[١٤٦] عاشور، عبدالفتاح: الوصايا العشر، ص١٦٦ والحديث في فتح الباري بشرح صحيح البخاري بشرح لابن حجر العسقلاني ٥/٢٦١ رقم ٢٦٥٤.

www.mtenback.com

فالصدق طريق الإيمان الصحيح، والكذب سبيل الفجور، ولذلك قال ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[١٤٧].

ومثلما أمر الفرد بصنوف من العدل؛ نهى كذلك عن ضروب من الظلم والعدوان، فحرم عليه السرقة والغصب والقتل والزنا والسب والرمي بالظنة، والإيذاء والضرب والرشوة وغير ذلك.

فمن الظلم خطبة الرجل على خطبة أخيه، ومن الظلم شراؤه على شراء أخيه، ومثله الشراء من المضطر المحتاج، فنرى كثيرين يشترون منه بثمن بخس، وربما أثرى بعضهم من ذلك. وفيه ظلم وحيف، والواجب معاونته على الخروج من محنته واضطراره لا زيادة إضرام ناره.

ومن الظلم الإسراف في الترف؛ لأن الله سبحانه لما أباح للناس أن ينفقوا مما رزقهم شرط عليهم أن يلتزموا جانب القصد والاعتدال، وأن يتجنبوا الإسراف والشطط فيما ينفقون، وفيما يستمتعون به من الطيبات التي أحلها لهم. ومن ثم تظل حاجتهم الاستهلاكية للمال والطيبات محدودة بحدود الاعتدال[١٤٨].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[١٤٩]. وفيها أمر بالاقتصاد في العيش، وذم البخل، ونهي عن

---

[١٤٧] الترمذي: السنن ج٨/١٤٧.

[١٤٨] سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم ١/٣١٩، في تفسير آيات الربا من سورة البقرة الآيات ٢٧٠ ومابعدها.

[١٤٩] سورة الإسراء/ ٢٩

www.mtenback.com

الإسراف: أي لا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملومًا محسورًا، وهو من باب اللف والنشر في علم البلاغة أي فتقعد إن بخلت ملومًا يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير[١٥٠]:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التي عجزت عن السير[١٥١].

ومثل هذا المعنى وصى المتنبي كافوراً[١٥٢]:

فَلاَ يَنْحَلِلْ فِي المَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالمَالِ عَقْدُهُ

وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِي المَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالمَالُ زَنْدُهُ

فَلاَ مَجْدَ فِي الدُّنيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلاَ مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

والتوازن والاعتدال هو قاعدة الشرع، ولهذا ذم الله تعالى قومًا فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾[١٥٣]. ولما فيه من الترف والسرف حرم على الرجال لبس الحرير واتخاذ الذهب والفضة.

ومما نهي عنه لدخوله في باب الظلم:الربا، فآكل الربا ظالم، وموكله مظلوم وقد يكون ظالمًا وقد سماه الله كذلك: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾[١٥٤].

---

[١٥٠] القرشي: جمهرة أشعار العرب ١٧٥.

[١٥١] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٣/٤٠.

[١٥٢] ديوان أبي الطيب ٤٥٤.

[١٥٣] سورة الأحقاف: الآية ٢٠.

[١٥٤] سورة البقرة: الآية ٢٧٩.

www.mtenback.com

وهو ظلم لأنه أخذ مال الإنسان بغير عوض وبذلك عرفه الفقهاء:" الربا فضل مال، لا يقابله عوض في معاوضة مال بمال[١٥٥]. ويقول الرازي: «الربا يقتضى أخذ مال الإنسان من غير عوض، لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدًا، أو نسيئة، فيحصل به فائدة درهم من غير عوض، ومال الإنسان متعلق حاجته، وله حرمة عظيمة، فوجب أن يكون أخذ المال من غير عوض محرمًا»[١٥٦].

فالمال وديعة في يد صاحبه يوظفه لصالح المجتمع كله، فليس له أن يقلب الوظيفة إضراراً بالناس وابتزازاً لهم، ويتحين ساعة احتياجهم، فيأخذ منهم أكثر مما أعطاهم، وقد تكون الحاجة هي حاجة الطعام لسدّ الجوع، وحاجة الدواء للعلاج، وحاجة النفقة للعلم ولغير العلم، فإما أن يتعطل ذلك كله، وإما أن يتحكم صاحب المال في المحتاج إلى المال فيمنحه القليل ويسترد منه الكثير فيظلمه بذلك جهده، فيكد ويعمل ليؤدي للمرابي رباه [١٥٧].

وهذا الجزء الزائد يستمتع به صاحب المال، وهو لم يعمل شيئًا، و لم يتعب في تحصيله، والإسلام يقدس العمل ويجعله السبب الأساسي للملك والربح فلا يلد المالُ المالَ، وإنما يلد المالَ الجهدُ، وهذا هو مفهوم العدل هنا.

والربا يفسد المودة بين أفراد المجتمع، فما تبقى معه مودة وتآلف، ويصير المرابي عدوًا في نظر من يستغلهم، فلا يحملون له ودًّا؛ والربا ظلم لأنه يكدس الأموال في أيدي قلة ويضخمها تضخيمًا لا يقوم على جهد؛ فتنشأ طبقتان في المجتمع: طبقة مرفهة عاطلة، وطبقة كادحة مسخرة لخدمة الأولى[١٥٨].

---

[١٥٥] الأشقر، عمر سليمان: الربا وأثره في المجتمع الإنساني، مكتبة الفلاح ودار القارئ، الكويت، (د.ت)، ص٩٤.

[١٥٦] الرازي: التفسير الكبير ٢/٣٥٨.

[١٥٧] قطب، سيد: العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط٧، (١٣٨٦هـ/١٩٦٧م) ص١٣٣.

[١٥٨] المصدر السابق، ص١٣٥.

www.mtenback.com

ولما كان الظلم في الربا واضحًا، وآثاره القبيحة بادية؛ عرضه المولى عز وجل عرضًا منفرًا يكشف عما فيه من قبح وشناعة، وقسوة في القلب، وشر للمجتمع، وفساد في الأرض، وهلاك للعباد، ولم يبلغ من تفظيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفظيع الربا، ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[١٥٩]. وبأخذه والتعامل به ينتفي العدل الذي هو موضوع هذا البحث.

العدل في المجتمع:

الضرب الثاني من ضروب العدل، عدل المجتمع، وهو أن يؤدي كل فرد ما ينتظر منه وما يتوجب عليه، أي هو مجموع عدل الأفراد. و«المجتمع العادل هو المجتمع الذي له من النظم والقوانين ما يسهل لكل فرد من أفراده أن يرقي نفسه على قدر استعداده، فلا يكون المجتمع عادلاً حتى تتوافر لكل طائفة من الناس وسائل رقيهم... ففي الأمة مثلاً طائفة من التجار يحتاجون في تجارتهم إلى هاتف وبريد وسكك حديد... وطائفة من الناشئين يحتاجون إلى مدارس... وطائفة من المتخاصمين تحتاج إلى قضاة وقوانين... فإذا قامت الأمة بكل هذا حق لها أن تسمى مجتمعًا عادلاً..»[١٦٠].

والمجتمع في العصر الحديث تعددت مطالب أفراده، وارتقت حياتهم، وصارت هناك خدمات عامة تؤديها الحكومة ممثلة في مؤسساتها المختلفة، فكأن الحكومة

---

[١٥٩] سورة البقرة: الآية ٢٧٥، والآيتان ٢٧٨-٢٧٩ وانظر سيد قطب: في ظلال القرآن ٣١٨/١.

[١٦٠] أحمد أمين: كتاب الأخلاق، ص ٢٢٢.

www.mtenback.com

صارت رمزاً للمجتمع العادل، وأقل تكليف للحكومة ألاّ تضع العراقيل أمام الأفراد في بلوغ ما يريدون من علم ورقي وكسب مادي مشروع، بل وتيسر لهم ذلك، وتكون لها سلطة نافذة تحفظ بها حقوق الناس، وتردع الظلم.

وتتجلى عدالة المجتمع في ثلاثة جوانب: العدل في القضاء، والعدل في الحكم، والعدل الاجتماعي، أي العدل، على أفراد توزيع الثروة في المجتمع وإتاحة الفرص المتساوية لأبنائه في طرق الكسب المادي وفي الوضع المعنوي فلا يهضم حق فرد أو فئة إذا كان غير محسوب على فئات النفوذ والتكتلات الاجتماعية. والعدل الفردي لا يفارق هذه الجوانب؛ فالقاضي فرد، والحاكم فرد، ومن يختارهم من ولاة أفراد، ولكن لتعلق الجانب الأول، أي القضاء، بالحقوق المباشرة، وأثره في حفظ الأمن، وتعلق الجانب الثاني، وهو الحاكم، بالاستقرار التام في المجتمع، وبسط سيطرته وتأثيره على كل من تحته صارت السمة الجماعية فيهما أغلب وأقوى.

العدل في القضاء:

مثلما كان العدل هو الميزان لاستقرارالنظام الكوني كما أنه الميزان لاستقرار الحياة البشرية، فإن القضاء هو الوسيلة التي تحقق ذلك العدل بين الناس، إذ الناس في مختلف العصور يعدون نتائج أحكامهم حقًا وعدلاً، وإن كانت هي عين الظلم، فلا بد من الفيصل: إن القضاء بالحق من أقوى الفرائض بعد الإيمان بالله تعالى، وهو من أشرف العبادات، وبه أمر كل نبي مرسل[١٦١]، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾[١٦٢] ثم قال: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

---

[١٦١] الحميضي: عبد الرحمن إبراهيم: القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، ط١، (١٤٠٩هـ).

[١٦٢] سورة المائدة: الآية ٤٤.

www.mtenback.com

فِيهِ﴾[١٦٣] ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾[١٦٤].

وهذا لأن في القضاء بالحق إظهارًا للعدل، ورفعًا للظلم، وإنصافًا للمظلوم من الظالم، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، ولأجله بعث الأنبياء والرسل، وبه اشتغل الخلفاء والولاة. والحكم بين الناس في مصالحهم وما يصلح شأنهم ويحقق العدل بينهم في كل شيء.

وبالقضاء تتحقق الأهداف العليا لصيانة المجتمع التي رعتها الشرائع السماوية من حفظ الدين والنفس والنسل والعرض والعقل والمال، فأي دولة تقصر في حفظ الأمن، فهي بلا شك آيلة للسقوط والانهيار قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[١٦٥].

ومسؤولية القاضي ضخمة شاقة، تتجلى ضخامتها وخطورتها من موضوع القضاء الذي هو حقوق الله، وحقوق العباد، فأية مسؤولية أكبر من تلك التي تتعرض للحكم في الدماء والأموال والأعراض؛ ولهذا كان الأتقياء من السلف يتهربون من القضاء إلا أن يكرهوا عليه. ولاسيما إذا عرفوا أنهم قد لا يحققون العدل بين الناس ليس فيما يحتكمون فيه إليهم بل فيما يرونه من أخذ حق عام أو استغلال جاه أو منصب يؤثر على القضاء وعلى العدالة الاجتماعية.

قال ابن سيرين كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كانون فيه نار، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه، فساره بشيء لاندري ما هو، فقال له أبو

---

[١٦٣] سورة المائدة: الآية ٤٧.

[١٦٤] سورة المائدة: الآية ٤٨.

[١٦٥] سورة البقرة: الآية ٢٥١.

www.mtenback.com

عبيدة: ضع لي إصبعك في هذه النار! فقال له الرجل: سبحان الله! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار! فقال أبو عبيدة: أتبخل علي بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم! قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء[١٦٦].

أهم ثمرات القضاء:

القضاء على النزاع والخصومات بطريق الصلح بين الخصوم، أو بالقضاء العادل الذي يحجز بعضهم عن بعض، وينصر الضعيف ويقوي شأنه حتى يأخذ حقه من القوي وذلك هو مغزى العدل الحقيقي.

ونصرة المظلوم بإيصال حقه إليه وإنصافه من ظالمه،ورد الظالم عن ظلمه والأخذ على يده.

وإقامة العدل بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقه، فيتحقق القسط ويرفع الظلم ويستقيم الأمر، ويتوطد الأمن، ويشعر الناس أنهم سواسية فلا تكون بينهم أحقاد ولا ضغائن ولا يحسد بعضهم بعضًا إذا كان ما يحصل عليه الفرد أو الجماعة هو من جهده وكسبه دون تدخل في الجهد أو الكسب.

والقضاء على الفساد والمفسدين، و الأخذ على أيدي المجرمين، فيحكم عليهم بالعدل فيرتدعون عن جرمهم، ويوعظ بهم غيرهم.

وإحلال النظام محل الفوضى، فتحفظ الأنظمة والأنفس والأموال وتحقق الطمأنينة والأمن، إن العدل ناموس الحياة وقانونها الطبيعي

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالقضاء العادل من أبرز أنواعه بل هو تطبيق عملي له[١٦٧].

---

[١٦٦] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، (د.ت)، ١/٦٥.

[١٦٧] الطريفي، د. ناصر بن عقيل: القضاء في عهد عمر بن الخطاب، دار الدنيا جدة، ط١، (١٤٠٦هـ) ١/٥٩.

www.mtenback.com

القضاء في الجاهلية:

لم يكن للعرب قبل الإسلام سلطة تشريعية تسن لهم القوانين والأنظمة، بل سادت العادات والتقاليد والأعراف، ولم يكن لهم سلطة قضائية منظمة تلزمهم بالحكم، بل كانوا يسمون القضاء حكومة، والقاضي حكمًا، ولم تكن الحكومة عملاً مستقلاً له سلطته، بل كان لمن يرغب فيه وفي تنفيذ أحكامه.. وكان التنفيذ يعتمد على قوة صاحب الحق وقدرته على تحصيل حقه، ويضاف إلى ذلك العصبية القبلية التي تقوم مقام الحكومة في تحصيل الحق، وتأديب الخارج على العرف.

وقد جاء في أمثالهم، والأساطير التي يروونها على ألسنة الحيوان ما يؤكد مبدأ الحق للقوي المقتدر من ذلك ما جاء في قصة المثل: في بيته يؤتى الحكم، قالوا: إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقال الأرنب: يا أبا الحسل، فقال: سميعًا دعوت.قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلاً حكمتما، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم قالت:فإني وجدت تمرة.

قال: حلوة فكليها قالت: فاختلسها الثعلب قال: لنفسه بغى الخير قالت: فلطمته. قال: بحقك أخذت قالت فلطمني. قال: حر انتصر. قالت: فاقض بيننا. قال: قد فعلت[١٦٨].

هذه الأسطورة ليست إلا صورة واقعية لحوادث يومية متكررة، كانت تقع في المجتمع. فالأساطير في أغلب الأحيان رموز لحقائق، وهذه منها، فالدستور الذي كان سائدًا يجعل صاحب القوة هو صاحب الحق، وما تأرجح الضب بين الأرنب والثعلب في أحكامه المتعاقبة إلا تأكيد لهذه القاعدة [١٦٩].

---

[١٦٨] الميداني: مجمع الأمثال ٢/٧٢.

[١٦٩] الحميضي: القضاء ونظامه في الكتاب والسنة ص ١٩١.

www.mtenback.com

وقد اشتهر بنو سهم من قريش في الحكومة، وكان ممن تولى الحكومة فيهم هاشم بن عبد مناف وابنه عبد الله، وعبد المطلب وأبو طالب، وعهد إلى أبي بكر الصديق القضاء في الأشناق وهي الديات في الجاهلية.

أما سائر القبائل فكان الحكم فيها هو صاحب الرأي فيها، فإذا وقعت الخصومة احتكموا إليه فيفصل بينهم بما أوتيه من الحكمة والعقل وبما جرى به العرف، كأكثم ابن صيفي الذي يعد من رؤساء المحكمين، وحاجب بن زرارة والأقرع بن حابس في تميم، وعامر بن الظَّرب وغيلان بن سلامة في قيس، وربيعة بن حذار في أسد، وهانئ بن يزيد في بني الحارث وغيرهم[١٧٠]. وكثير في قبائل العرب الذين شهد لهم بالأمانة والنزاهة والحياد عند الخصومة والعدل عند القضاء.

روى الربيع بن نافع عن جده هانئ أنه لما وفد إلى الرسول ﷺ مع قومه بني الحارث سمعهم يكنونه بأبي الحكم. فدعاه رسول الله ﷺ فقال: إن الله هو الحكم وإليه الحكم. فلم تكنى بأبي الحكم؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: ما أحسن هذا..[١٧١]

وكانوا يحتكمون إلى الرجال، وكانوا يعرفون الأمور بالحدس والتخمين والفراسة، والعرب من أطوع الأمم للحكم إذا صدق الحاكم وحسنت نيته وسلمت طويته من الجور أو المحاباة والغرور.

وكان لبعض حكام العرب أحكام صائبة، توافق الحق، فقد حكم عامر بن الظرب العدواني، وذرب بن حوط الطائي في الخنثى حكمًا جرى به حكم الإسلام وفي هذا الأخير يقول أدهم بن أبي الزعراء الطائي:

---

[١٧٠] الطريفي: القضاء في عهد عمر بن الخطاب ١/ ٦١.

[١٧١] الحميضي: القضاء ونظامه في الكتاب والسنة ص ١٩٤.

www.mtenback.com

مِنَّا الَّذِي حَكَمَ الحُكُومَ فَوَافَقَتْ فِي الجاهِلِيَّةِ سُنَّةَ الإِسْلامِ

ومنهم من ورث ماله في الجاهلية للذكر مثل حظ الأنثيين[١٧٢].

القضاء في الإسلام:

حقق الرسول ﷺ العدل بين الناس، وقضى بنفسه في حوادث كثيرة[١٧٣]. ووضع القواعد العامة، بل والأحكام التفصيلية التي بنى عليها الفقهاء والقضاة أحكامهم بعد، ودرَّب أصحابه وعلَّمهم، فكان النظام القضائي في الإسلام الذي يفوق أرقى نظم الأرض قديمًا وحديثًا دقة ونزاهة وعدالة ووفاء، وتحقيقًا لمصالح الأمم والشعوب[١٧٤]. وكان أبو بكر بعده يقضي بنفسه تارة، ويستعين بعمر تارة أخرى، ولما ولي عمر فصل القضاء عن الولاية العامة، وكان يختار القضاة بنفسه، ويكاتبهم ويرشدهم، وكان كتابه إلى أبي موسى الأشعري من أهم الكتب وأجمعها وأشملها، وقد اهتم به المسلمون وسموه دستور القضاء، وجعله المبرد مما يؤثر من الآداب ويقدم، وقال في وصفه: «هي - أي رسالة عمر - التي جمع فيها جمل الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، وجعل الناس بعده يتخذونها إمامًا، ولا يجد محق عنها معدلاً، ولا مبطل عن حدودها محيصًا: وجاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: سلام عليك، أما بعد:

فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة فافهم إذا أُدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس في الناس بين وجهك وعدلك، ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييئس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر،

---

[١٧٢] ابن حبيب أبو جعفر محمد البغدادي: المحبر، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، (١٣٦١هـ/١٩٤٠م)، ص٢٣٦.

[١٧٣] الألباني: صحيح سنن ابن ماجة، ٨/١ مثال على ذلك.

[١٧٤] الطريفي: القضاء في عصر عمر بن الخطاب ص ٦٨.

www.mtenback.com

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً، لا يَمْنَعَنَّك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشياء والأمثال، فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق...»[١٧٥].

وأول بند في هذه الرسالة أن يسوي القاضي بين الخصمين حتى لا يجد واحد فيه مطمعًا. نقل الرازي عن الشافعي أنه ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول عليه، والجلوس بين يديه، و الإقبال عليهما، والاستماع منهما والحكم عليهما، والمأخوذ عليه التسوية بينهما في الأفعال دون القلب، فإن كان يميل بقلبه إلى أحدهما ويحب أن يغلب بحجته فلاشيء عليه؛ لأنه لا يمكنه التحرز عنه[١٧٦].

صفات القاضي:

قال ابن قتيبة لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيًا حتى تكون فيه خمس خصال يكون عالمًا قبل أن يستعمل، مستشيرًا لأهل العلم، ملقيًا للرثع (الطمع)، منصفًا للخصم، محتملاً للائمة..[١٧٧].

وقد شدد عمر رضي الله عنه في قوله: الفهم الفهم..، فلا بد أن يكون القاضي فطنًا ذكيًا، يستشف مواطن الضعف والقوة في كلام الخصمين، وله أن يستعمل الحيلة والدهاء للوصول إلى الحق، قالوا: استودع رجل رجلاً مالاً؛ ثم طالبه به فجحده، فخاصمه إلى إياس بن معاوية القاضي، وقال: دفعت إليه مالاً في مكان كذا وكذا قال فأي شيء كان في ذلك الموضع قال: شجرة، قال: انطلق إلى تلك الشجرة، فلعل الله

---

[١٧٥] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة و الأدب، مكتبة بيروت، (د.ت)، ص٨.

[١٧٦] الرازي التفسير الكبير ١١٣/٥ تفسير الآية ٥٨ من سورة النساء.

[١٧٧] ابن قتيبة عيون الأخبار ٦/١.

www.mtenback.com

يوضح لك هناك ما تبين به حقك، أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت فتتذكر إذا رأيت الشجرة.

فمضى، وقال إياس للمطلوب منه: اجلس حتى يرجع صاحبك؛ فجلس وإياس يقضي وينظر إليه بين كل ساعة. ثم قال: ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟ قال: لا فقال: يا عدو الله؛ أنت الخائن قال: أقلني، أقالك الله. فأمر بحفظه حتى جاء خصمه، فقال له: خذ منه بحقك فقد أقر[١٧٨].

واستودع رجل أمينَ إياس مالاً، وخرج المودع إلى الحجاز، فلما رجع طالبه فجحده، فأتى إياسًا فأخبره. فقال إياس: أعلمته أنك أتيتني؟ قال: لا. قال: أفنازعته عند غيري؟ قال: لا،قال: فانصرف واكتم سرك، ثم عد إلي بعد يومين. فمضى الرجل ودعا إياس أمينه، فقال: قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم، قال فأعد موضعًا للمال، وقومًا يحملونه.

وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك، وإن جحد فقل: إني أخبر القاضي بالقصة. فأتى الرجل صاحبه، فقال تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي، فدفع إليه بالمال. فرجع الرجل وأخبر إياسًا. ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به، فزجره، وقال له: لا تقربني بعد هذا يا خائن[١٧٩].

فهذه ملحٌ وأخبار تنبئ عن فطنة القاضي المنشودة وذكائه المطلوب، كي يستطيع أن يعيد الحق لأصحابه ويعدل بين الناس، وتاريخ القضاء عند العرب حافل بشواهد وأخبار جديرٌ أن يفخر بها العرب والمسلمون ويباهوا بها الأمم عبر التاريخ.

لكن هذا للقاضي إذا كانت الخصومة في الحقوق المادية بين الناس، ولكنه لا يجوز أن يستعمل القاضي ذكاءه لتوريط المتهم بين يديه وإدانته باستعمال الحيل

---

[١٧٨] محمد أحمد جاد المولى: قصص العرب ٤/٣٧٠.

[١٧٩] المصدر السابق، ٢/٣٧١.

www.mtenback.com

واستغلال الغفلة أو الضعف الذي يقع فيه المرء لا سيما إذا كانت الخصومة في غير الحقوق الخاصة. وقد جاء في الأثر ادرؤوا الحدود بالشبهات. فالقاضي الذي يتحرى العدل في الناس يجب أن يلتمس ما يدرأ الحدَّ ويعفي المتهم من سوط العقاب، ولعل القدوة الصالحة من عمل النبي وقوله فيمن أتاه يعترف بالزنا فصرف النبي وجهه عنه وقال لعلك قبلت أو لمست، والرجل يأبى إلا الشهادة على نفسه حتى كرر ذلك مرارًا.

ولا بد أن يكون القاضي مستقلاً عن ولي الأمر قادرًا على إحقاق الحق، وانتزاعه ولو من الحاكم نفسه، وعلى الحاكم أن يقبل ذلك ويعينه عليه، وقد شهد تاريخ العرب أمثلة رائعة على ذلك، منها: أن علي بن أبي طالب فقد درعه بعد صفين وبعد مدة وجدها عند رجل، من أهل الذمة، فلما ادعى ملكيتها أنكرها الرجل، فاضطر الخليفة أن يقاضيه عند شريح القاضي، وفي اليوم المعين للمرافعة حضر القاضي، وحضر خصمه فأبان علي أن الدرع درعه، وأنه فقدها بعد معركة صفين فسأل القاضي الخصم، فقال: الدرع درعي وأمير المؤمنين ليس بكاذب. فطلب شريح البينة من الخليفة، فأشهد ابنه ومولاه فرد القاضي شهادتهما وحكم بالدرع لخصمه فأخذها وانصرف، وبعد أن سار خطوات التفت إلى مجلس القضاء وقال: «أشهد أن هذا لحكم الأنبياء» وأسلم من فوره وقال الدرع درعك يا أمير المؤمنين، فقد كنت أسير وراء القافلة بعد حرب صفين فسقطت الدرع من جمل أورك فحملتها. فأجابه الخليفة قائلاً «أما وقد أسلمت فالدرع هبة مني لك»[١٨٠].

وأتت امرأة يومًا شريك بن عبد الله قاضي الكوفة، وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، قال: من ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين، كان لي بستان على شاطئ الفرات، فيه نخل ورثته عن أبي، وقاسمت إخوتي،

---

[١٨٠] طلفاح، خيرالله: كنتم خير أمة أخرجت للناس، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٥، (١٩٧٥م)، ٢٣٣/١.

www.mtenback.com

وبنيت بيني وبينهم حائطًا، وجعلت فيه رجلاً يحفظ النخل ويقوم به، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي، وساومني ورغبني، فلم أبعه، فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمئة غلام فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئًا، فاختلط بنخل إخوتي. فقال: يا غلام أحضر طينة، فأحضرها فختمها، وقال: امض والزم به حتى يحضر معك، فأخذها الحاجب، ودخل على موسى، وقال: قد أعدى القاضي عليك، وهذا ختمه، فقال: ادع لي صاحب الشرطة، فدعا به فقال: امض إلى شريك، وقل: يا سبحان الله! ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي. فقال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفيني من ذلك. فقال: امض، ويلك. فخرج وقال لغلمانه. اذهبوا واحملوا إلى حبس القاضي بساطًا وفراشًا وما تدعو الحاجة إليه، ثم مضى إلى شريك، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة، فقال لغلام في المجلس: خذه بيده فضعه في الحبس، فقال صاحب الشرطة: والله لقد علمت أنك تحبسني فقدمت ما أحتاج إليه في الحبس.

وبلغ الخبر موسى بن عيسى، فوجه إليه الحاجب، وقال له: قل له رسول أدى رسالة فأي شيء عليه؟ فقال شريك: اذهبوا به إلى رفيقه في الحبس. فلما صلى الأمير العصر بعث إليه إسحاق بن الصباح الأشعثي وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك: أبلغوه السلام، وأعلموه أنه استخف بي، وأني لست كالعامة، فمضوا إليه وهو جالس في مجلسه بعد صلاة العصر، فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم، قال لهم. إني أراكم جئتموني في جمع من الناس، فكلمتموني. من ها هنا من فتيان الحي؟ فأجابه جماعة من الفتيان، فقال: ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس. ما أنتم إلا فتنة وجزاؤكم الحبس. فقالوا له: أجاد أنت؟ قال: حتى لا تعودوا لرسالة ظالم، فحبسهم.

فركب موسى بن عيسى، الليلة إلى باب السجن، وفتح الباب، فأخرجهم كلهم، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء، جاءه السجان فأخبره، فدعا بالقمطر

www.mtenback.com

فختمه ووجه به إلى منزله، وقال لغلامه: الحق بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه. ولقد ضمنوا لنا الإعزاز إذ تقلدناه لهم، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد. وبلغ الخبر موسى بن عيسى، فركب في موكب فلحقه وجعل يناشده ويقول: يا أبا عبد الله تثبت، انظر إخواني أتحبسهم. دع أعواني، قال: نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعًا وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما قلدني.

فأمر موسى بردهم إلى الحبس، وهو واقف مكانه حتى جاءه السجان فقال: قد رجعوا إلى الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى أدخل المجلس وجلس في مجلس القضاء، فجاءت المرأة المتظلمة، فقال: هذا خصمك قد حضر، فقال موسى وهو مع المرأة المتظلمة بين يديه: قبل كل أمر أنا قد حضرت، وأولئك يخرجون من الحبس، فقال شريك: أما الآن فنعم، أخرجوهم من الحبس، فقال: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة؟ قال: صدقت، قال: ترد ما أخذت منها، وتبني حائطها سريعًا كما كان، قال: أفعل ذلك، قال لها: أبقى لك عليه دعوى؟ قالت: لا، وبارك الله عليك، وجزاك خيرًا. قال: قومي، فقامت من مجلسه.

فلما فرغ أخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه، قال: السلام عليك أيها الأمير، أتأمر بشيء؟ فقال: أي شيء آمر وضحك، فقال له شريك: أيها الأمير، ذاك حق الشرع، وهذا القول الآن حق الأدب فقام الأمير وانصرف إلى مجلسه[١٨١].

فتلك من عيون أخبار القضاء في تاريخ العرب والإسلام، القاضي فيها، كما في سائر عهود الحضارة العربية الزاهية، جامعٌ لخصال الورع والفهم والأدب والظرف، ومتمتع باستقلال القضاء لا يخاف فيه إلا الله ولا يريد فيه غير العدل.

---

[١٨١] طلفاح: كنتم خير أمة أخرجت للناس ص ١١٥.

www.mtenback.com

ومن صفات القاضي أن يكون ذا هيبة في تواضع مع الأمانة والـــورع، ومـــن الأمانة والورع ألا يضيف أحد الخصمين دون الآخر، لأن ذلك يكسر قلب الآخر، ولا يجيب هو إلى ضيافة أحدهما، ولا إلى ضيافتهما معًا ما داما متخاصمين[١٨٢].

وللقضاء والعدل فيه آفات تؤدي إلى انحرافه عن غايته السامية ومنها (التحـــيز) وهو الميل إلى أحد الخصمين بدافع من حب أو منعة، أو مظهر خارجي كحسن المنظـــر والثياب وفصاحة اللسان[١٨٣]، فيجب عليه أن يحترز من ذلك وإلا كان خصمًا، كمـــا قال الشاعر:

وَالخَصْمُ لاَ يُرْتَجَـــى النَّجَـــاحُ لَـــهُ ... يَومًـــا إِذَا كَـــانَ خَصْمَـــهُ القَـــاضِي

فلا ينبغي له أن يلقن واحدًا منهما حجته، ولا شاهدًا شهادته؛ لأن ذلك يضـــر بأحد الخصمين، ولا يلقن المدعي الدعوى والاستحلاف ولا المدعى عليه الإنكـــار أو الإقرار[١٨٤].

وقد يميل القاضي لواحد مما تقدم من أسباب فهو بشر، وقد يتهم بالميل، وإن لم يفعل، قال الهيثم بن عدي: تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمر بن حريث وأخوهـــا الوليد إلى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمى بها فقضى لها فقال هذيل الأشجعي[١٨٥]:

أَتَـــاهُ رَفِيـــقٌ بِالشُّـــهُودِ يَسُـــوقُهُمْ ... عَلَى مَا ادَّعَتْ مِنْ صَامِتِ المَالِ والخَوَلْ

فَـــأَدْلَى وَلِيـــدٌ عِنْـــدَ ذَاكَ بِحَقِّـــهِ ... وَكَانَ وَلِيـــدٌ ذَا مِـــرَاءٍ وَذَا جَـــدَلْ

---

[١٨٢] الرازي: التفسير الكبير، ١٤٦/٥

[١٨٣] أمين، أحمد: كتاب الأخلاق ص ٢٢٠

[١٨٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار ٧٠/١

[١٨٥] الرازي: التفسير الكبير، ١٤٦/٥

www.mtenback.com

فَفَتَنَتِ القِبْطيَّ حَتَّـــى قَضَـــى لَهـــا بِغَيرِ قَضَاءِ اللهِ فِي السُّـــوَرِ الطُّـــوَلْ
فَلَو كَانَ مَنْ فِي القَصْرِ يَعْلَمُ عِلْمَـــهُ لَمَا اسْتُعْمِلَ القِبْطِيُّ فِينا عَلَـــى عَمَـــلْ
لَهُ حِيْنَ يَقْضِـــي لِلنِّسَـــاءِ تَخَـــاوُصٌ وَكَانَ وَمَا مِنْهُ التَّخَـــاوُصُ وَالخَـــوَلْ
إِذا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمَتْـــهُ بِحَاجَـــةٍ فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضِـــي تَنَحْنَـــحَ أَوْسَـــعَلْ

فكان عبد الملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتني السعلة أو التنحنح و أنـــا في المتوضأ فأكف عن ذلك[١٨٦].

ومن أخبار الشعبي عامر بن شراحيل القاضي أنه دخل عليه رجـــل في مجلـــس القضاء ومعه امرأة من أجمل نساء وقتها فاختصما إليه، فأدلت المرأة بحجتها وقربـــت بينتها، فقال للزوج: هل عندك من مدفع. فأنشأ يقول[١٨٧]:

فُتِـــنَ الشَّـــعْبِيُّ لَمَّـــا رَفَـــعَ الطَّـــرْفَ إِلَيْهـــا
فَتَنَتْـــهُ بِـــدَلَالٍ وَبِخَطَّـــيْ حَاجِبَيْهـــا
قَـــالَ لِلْجِلْـــوَازِ قَرِّبْـــ ـــهـــا وَ أَحْضِـــرْ شَـــاهِدَيْها
فَقَضَـــى جَـــوْرًا عَلَـــى الخَصْـــمِ وَلَـــمْ يَقْـــضِ عَلَيْهـــا

هذا ولم يعرف التاريخ إلا الخير والسيرة الطيبة لقضاة الإسلام، كما عرف عن أكثرهم تحري العدل والنزاهة في الخصومة والاستقلال في القضاء عن كـــل المؤثـــرات على مسيرة العدالة.

ويحتاج القاضي في عمله إلى أعوان حتى تتحقق العدالة الكاملـــة، مـــن ذلـــك الكاتب والشرطة وهي ضرورية في إحضار الخصوم واستدعائهم إذا استدعى عليهـــم، وحفظ النظام، وترتيب الخصوم، والوقوف بين يـــدي القـــاضي انتظـــارًا لأوامـــره

---

[١٨٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٦٣/١

[١٨٧] الحميضي: القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، ص ٢٦٨.

www.mtenback.com

واستكمالاً لهيبة مجلس القضاء وتنفيذ العقوبات بعد حكم القاضي..[188]. ومنهم الحاجب والوكلاء عن الخصومة وهم المحامون وقد أصبحت مهنة مختصة في العصر الحاضر خاصة في الدول التي تطبق القوانين الوضعية لأن الوصول إلى القضاء أصبح أمرًا صعبًا، فيلجأ الناس إلى أصحاب الاختصاص من المحامين ليستخرجوا لهم حقوقهم.

والمحامي يجب أن يكون عونًا للقاضي في الوصول إلى الحق، وألا تكون محاماته مبنية على الباطل والمماحكة والمزاوغة، وإبطال الحق، وإحقاق الباطل، وكسب الدعوى بأي أسلوب ليستفيد ماليًا من موكله وشهرة بين الناس.

فالله سبحانه قد نهى عن ذلك بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[189].

فإذا كان أحد الخصمين ألحن بحجته، أو وكل من هو ألحن بها؛ فإن ذلك لا يحلل له ما أخذ. جاء في الحديث: «ألا إنما أنا بشر، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها»[190].

أما إذا كان غرض المحامي مساعدة القاضي في الوصول إلى الحكم العادل، بإيضاح ما لدى موكله، وبسط الأدلة وسوق الحجج والبراهين على ما يراه موكله، فينظر القاضي فيما أبداه الخصمان ثم يوازن بين الأدلة ويزنها بميزان العدل، ثم يصدر حكمه العادل عندئذ يكون المحامي من أعوان القاضي، داعية العدالة.

---

[188] الطريفي: القضاء في عهد عمر، ٢٩٦/١ وانظر ١٠٥/١.

[189] سورة النساء: آية ١٠٥.

[190] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠٧/٥ برقم ٢٤٥٨.

www.mtenback.com

بقي أن نشير إلى أن للقاضي دوراً في تحقيق العدل الاجتماعي، وذلك باستعمال سلطته لصالح المجتمع، مثال ذلك أنّ للقاضي أن يجبر المحتكر الذي يمتنع عن بيع الناس ما احتكره، يجبره على بيع ما زاد عن قوته وقوت عياله، وكذلك إذا أبى أن يبيعه للناس إلا بسعر فاحش يشق عليهم، يأمره القاضي ببيعه بسعر معتدل الربح يقدره ذوو الاختصاص، فإن أبى انتزع منه ماله في الحالين وباعه[١٩١].

العدل في الحكم:

الحكم هو الأساس الذي ينبني عليه كل ما سبق ذكره؛ لأن الحاكم إن كان عدلاً فإنه يختار العدول في كل موقع، فتستقيم الحياة. فمسؤوليته كبرى، وأول ذلك أن يأتي الحاكم عن رضا من الناس واختيار مع إلزامه بالشورى، فإذا غصب الأمر اختل ميزان العدل، وإن كان يفهم من بعض أقوال المفسرين والعلماء أنه إذا فعل ذلك وأدى ما عليه، وسار بما يرضي الله فلا بأس كالذي يقوله الرازي في تفسير: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»... كالتصريح بأنه ليس لجميع الناس أن يشرعوا في الحكم، بل ذلك لبعضهم، ثم بقيت الآية مجملة، بأي طريق يصير حاكماً...ثم يضيف «أنه لابد للأمة من الإمام الأعظم..»[١٩٢].

والمقصود اختيار أهل الحل والعقد، وشوراهم، ممن لهم خبرة بالشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية، من ذوي الدين والعفة والشجاعة والمروءة؛ لأن الناس واحد منهم كألف، وألف كواحد، فإذا فسح المجال لكل من هب ودب امتلأ مجلس الشورى بالجهال، ولا سيما وهم أقدر على شراء الأصوات من غيرهم، فتكون الأمة محكومة بجهالها[١٩٣].

---

[١٩١] الشرقاوي، محمود: العدالة الاجتماعية عند العرب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٦٦م)، ص٩٠.

[١٩٢] الرازي: التفسير الكبير ١٤٦/٥.

[١٩٣] كنون، عبدالله: مفاهيم إسلامية، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت)، ص١٣٥.

www.mtenback.com

وأول الحكم بالعدل الشورى؛ فلا يصدر الحاكم في أعماله وأحكامه عن آرائه الخاصة وتجاربه الشخصية وقد كان الرسول ﷺ على كماله واتصاله بربه عز وجل، يستشير أصحابه؛ ليشحذ أذهانهم، ويشركهم في الأمر ويكون لهم شخصياتهم المستقلة التي تؤهلهم للقيادة، واستشار زوجه أم سلمة يوم الحديبية في الحديث المعروف، ونفع الله برأيها، وأنقذ المسلمين من المخالفة، واستشار أبو بكر الصحابة في قتال مانعي الزكاة، وأقنعهم برأيه وكذلك كان يفعل عمر، رضي الله عنهم أجمعين.

ومن العدل أن يجعل الناس سواسية في دولته، فلا يحابي قومًا لقرابة أو شرف، أو يعادي آخرين فيجعل من نفسه خصمًا لهم، كما قال الشاعر:

وَنَسْتَعْدِي الأَمِيرَ إِذَا ظُلِمْنَا ... فَمَنْ يُعْدَى إِذَا ظَلَمَ الأَمِيرُ

وقال آخر[١٩٤]:

إِذَا كَانَ الأَمِيرُ عَلَيْكَ خَصْمًا ... فَلاَ تُكْثِرْ فَقَدْ غَلَبَ الأَمِيرُ

ولا يقرب عشيرته على حساب الآخرين، حكي أن عمر بن عبد العزيز كان جالسًا في بيته، وعنده أشراف بني أمية، فقال: أتحبون أن أولي كل رجل منكم جندًا؟ فقال رجل منهم: لم تعرض علينا ما لا تفعله؟ قال: ترون بساطي هذا؛ إني لأعلم أنه يصير إلى بلى وفناء، وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم، فكيف أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم؛ هيهات لكم، هيهات. فقالوا له: لم؟ أما لنا قرابة؟ أما لنا حق؟ قال: ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء، إلا رجلاً حبسه عني طول شقته[١٩٥].

---

[١٩٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/ ٧٨.

[١٩٥] الشيخ، عبدالستار:عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، دار القلم، دمشق، ط١، (١٤١٢هـ)، ص٢٢٥.

www.mtenback.com

ومن ذلك إلغاء الفوارق المصطنعة بين الناس، تلك الفوارق التي عمل الإسلام على هدمها دائماً. حدث يونس بن أبي شبيب، قال: «شهدت عمر بن عبد العزيز في بعض الأعياد، وقد جاء أشراف الناس حتى حفوا بالمنبر، وبينهم وبين الناس فرجة. فلما جاء عمر صعد المنبر وسلم عليهم، فلما رأى الفرجة، أومأ إلى الناس أن تقدموا، فتقدموا حتى اختلطوا بهم»[١٩٦].

ومن عمد الحكم بالعدل أن يختار العدول الأقوياء الأمناء، ولى عمر بن الخطاب شرحبيل بن حسنة على الشام ثم عزله وقال: أيها الناس إني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل. وكان يقول إني لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه[١٩٧]. ولايكتفي بالاختيار بل عليه أن يعظهم، وينهاهم عن الظلم والجور، وعليه أن يحاسبهم على الصغيرة والكبيرة. كتب إلى عمر بن عبدالعزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته، فكتب إليه: حصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم[١٩٨].

وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم، وهو والي أرض فارس: ياربيع آثر الحق، والزم القصد، وابسط العدل، وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه وأظلمهم من ظلم الناس لغيره[١٩٩].

وكان عمر بن الخطاب يقول: «ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفسي بيده لأقصنّه»[٢٠٠].

---

[١٩٦] المصدر نفسه، ٢٢٦.

[١٩٧] الحميضي: القضاء في عهد عمر ٣١٠/١.

[١٩٨] ابن عبدربه: العقد الفريد، ٣١/١.

[١٩٩] المصدر نفسه: ٣١/١

[٢٠٠] السيد الجميلي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص٩٩.

www.mtenback.com

وكان عامله على حمص سعيد بن خديم، فشكاه أهل حمص إلى عمر، وسألوه عزله، وكان عمر يعتقد أنهم ظالمون له، فقال: اللهم لاتقل فراستى فيه، وجمع بينهم وبينه فقال:ما تنقمون منه؟ قالوا: لايخرج إلينا حتى يرتفع النهار، فقال: ما تقول يا سعيد؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ وأخرج إليهم، قال وما تنقمون منه؟ قالوا: لايجيب بليل، قال: جعلت الليل كله لربي والنهار لهم، قالوا: يوم في الشهر لايخرج إلينا؟ قال: نعم ليس لي خادم فأغسل ثوبي، وليس لي غيره فأجففه فأمسي، فقال عمر: الحمد لله لم يقل فراستي فيه يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم خيرًا وبعث له بألف دينار ففرقها على المساكين و لم يغير عادته[٢٠١].

ومحاسبة العمال، والأخذ على أيديهم هي التي تجعل أمور العدل تستقيم، وإلا استغل كل ضعيف النفس سلطته باسم الحاكم وفعل ما يحلو له؛ أما إذا شعر بالمراقبة والمحاسبة فإنه يتوخى العدل؛ ومن تلك المحاسبة ما فعله عمر بن الخطاب حين بلغه أن عامله على البحرين ابن الجارود أتى برجل يقال له أدرياس قامت عليه بينة بمكاتبة عدو المسلمين، وأنه قد همّ أن يلحق بهم، فضرب عنقه وهو يقول: يا عمراه، يا عمراه ! فكتب عمر رضي الله عنه إلى عامله ذلك فأمره بالقدوم عليه فقدم؛ فجلس له عمر وبيده حربة. فدخل على عمر فعلا عمر لحيته بالحربة وهو يقول: أدرياس لبيك، أدرياس لبيك !وجعل ابن الجارود يقول: يا أمير المؤمنين إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهم أن يلحق بهم. فقال عمر: قتلته على همه، وأينا لم يهم؟ لولا أن تكون سنة لقتلتك به[٢٠٢].

---

[٢٠١] ابن عاشور، محمد الفاضل: كتاب الإشراق الإسلامي، الشركة التونسية للتوزيع ط١ ص٣٣٠.

[٢٠٢] الكاندهلوي، الشيخ محمد يوسف: حياة الصحابة، حققه وعلّق عليه: الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم، دمشق، ط٢، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٢/٩٨.

www.mtenback.com

وقصته مع المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص مشهورة حين قال له: اضرب ابن الأكرمين، فضربه حتى اشتفى ثم قال له: ضعها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، ثم قال لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[٢٠٣].

ومن الحكم بالعدل أن يخرج الحاكم ليعرف أحوال أمته ولا يقعد في برج عاجي، ويكتفي بالتقارير من بطانته وخاصته، فربما أخفوا عنه الحقيقة، فيستطلع بنفسه كما كان يفعل عمر؛ كان يعس بالليل، ليعرف أحوال الناس ويطلع على شؤونهم وحاجاتهم، ويزيل أوصابهم، والحاكم الذي يهتم بشؤون رعيته يهتم عماله بالتشبه به، والسير على منهجه.

ومن أهم ما يجب على الحاكم اتخاذ البطانة الصالحة، التي تدله على الخير، وتعينه عليه، فلا تسارع في هواه، وتميل إلى رأيه خطأ كان أو صواباً.

كما قالت المرأة الخارجية للحجاج حين استشار جلساءه في أمرها فأشاروا بقتلها، فقالت: كانت بطانة أخيك فرعون خيراً من بطانتك حين قالوا له: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[٢٠٤].

وينبغي أن تكون البطانة كعبد الملك لأبيه عمر بن عبد العزيز، يدفعه دفعاً إلى الحق ويعينه: لما انتهى عمر من سليمان ودفنه والبيعة له ذهب يتبوأ مقيلاً وكان قد سهر ليله في تجهيز سليمان، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ما تريد أن تصنع؟ قال: أي بني ! أقيل؛ قال: تقيل ولا ترد المظالم؟ قال أي بني إني سهرت البارحة في عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم. قال: يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر؛ فيقول عمر لابنه ادن مني أي بني. فدنا فالتزمه وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، فخرج و لم يقل.

---

[٢٠٣] السيد الجميلي، مناقب أمير المؤمنين عمر، ص ١٠٣.

[٢٠٤] سورة الأعراف: ١١١.

www.mtenback.com

ولم يكن عبد الملك هذا ليترك أباه يستريح فكان دائمًا نعم المذكر والمنشط لأبيه، وقد جلس عمر للناس يومًا فلما انتصف النهار ضجر ومل، فقال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم، ودخل ليستريح ساعة، فجاء عبد الملك لأبيه فسأل عنه فقالوا: دخل، فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال: أردت أن أستريح ساعة. قال: أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك، وأنت محتجب عنهم؛ فقام عمر فخرج للناس[٢٠٥].

والبطانة الصالحة من أقوى أسباب تحقيق العدل؛ ففضلاً عن كونهم يأمرون به، ويشيرون على الحاكم به، فهم يرفعون إليه حوائج من لا يستطيع رفعها، ويشفعون لأصحاب الحقوق، فيخدمون العدل بذلك.

ومن أهم ما يفعله الحاكم ليحقق العدل رد المظالم التي سبقته وبهذا يضمن ألا تقع مظالم جديدة.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم واليه على المدينة أن أستبرىء الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فرده عليه فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم[٢٠٦]. فلا يضيع حق بموت صاحبه.

وأشد ما يكون الأمر حساسية إذا كانت المظلمة من قريب للحاكم كابنه أو أخيه، فإن في ردها بسطا للعدل كأحسن ما يكون، حدث قحطبة بن حميد قال: إني لواقف على رأس المأمون يومًا وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه، وقد هم بالقيام، امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله تكلمي بحاجتك فقالت:

---

[٢٠٥] الغزي، محمد صدقي:قدوة الحكام المصلحين، عمر بن عبد العزيز، مكتبة المعارف الرياض ط١، (١٤١٣ هـ)، ص٢٣٩-٢٤٠.

[٢٠٦] المصدر نفسه: ص ٢٤١.

www.mtenback.com

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى لَـــهُ الرَّشَـــدُ ... وَيَا إِمَامًا بِـــهِ قَـــدْ أَشْـــرَقَ البَلَـــدُ
تَشْكُو إِلَيكَ عَمِيدَ القَـــوْمِ أَرْمَلَـــةٌ ... عُدِيٍ عَلَيْهَا فَلَمْ يُـــتْرَكْ لَهَـــا سَـــبَدُ
وَابْتُزَّ مِني ضِيـــاعي بَعْـــدَ مَنْعَتِهَـــا ... ظُلْمًا وَفُرِّقَ مِنّي الأَهْـــلُ وَالوَلَـــدُ

فأطرق المأمون حينًا، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

فِي دُوْنِ مَا قُلْتِ زَالَ الصَّبْرُ وَالجَلَـــدُ ... عَنّي وَأُقْرِحَ مِنّـــي القَلْـــبُ وَالكَبِـــدُ
هَذَا أَذَانُ صَلاَةِ العَصْـــرِ فَـــانْصَرِفِي ... وَأَحْضِرِي الخَصْمَ فِي اليَومِ الَّذِي أَعِدُ
فَالمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَ الجُلُوسُ لنا ... نُنْصِفْكِ مِنْهُ وَإِلاَّ المَجْلِـــسُ الأَحَـــدُ

قال فلما كان يوم الأحد، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.فقال: وعليك السلام. أين الخصم؟ فقالت الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت إلى العباس ابنه فقال: يا أحمد بن أبي خالد! خذ بيده فأجلسه معها بمجلس الخصوم. فجعل كلامها يعلوكلام العباس، فقال لها ابن أبي خالد: يا أمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير، فاخفضي صوتك. فقال المأمون: دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه، ثم قضى لها برد ضيعتها، وأمر لها بنفقة [٢٠٧].

ومن النصفة العامة في رد الحقوق ما أشار إليها عمر بن الخطاب في أول خطبة خطبها: أيها الناس إنه والله ما فيكم أحد أقوى من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف من القوي حتى آخذ الحق منه. قال المبرد: وقد روينا هذه الخطبة عن أبي بكر[٢٠٨]. ولا مانع أن يتكرر الكلام من الرجلين العظيمين ومن الإشارات الدالة على عدل الحاكم ألا يبالغ في عقوبة الجاني، وما شهر الحجاج بالظلم إلا لمبالغته في عقوبة

[٢٠٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/٢٨-٢٩.

[٢٠٨] المبرد: الكامل ص٨.

www.mtenback.com

الجناة. والعقوبة لا تكون إلا بمقدار الذنب، دون أن تتجاوز ذلك إلى إهانة وتعذيب، وإن ارتدع الجاني من جريمته، قبل رفعه إلى الحاكم يعفو عنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٠٩].

هذا في حق الله تعالى، أما حقوق الناس فلا بد من ردها أو تسوية أمرها.

فالعقوبة للردع وليست للتشفي من المذنب، ولكنها رحمة ورعاية لمصالح الفرد والمجتمع[٢١٠]، وقد حددها المولى عز وجل إلا في التعزيرات، وقد غضب عمر بن الخطاب على أبي موسى الأشعري لأنه جلد شاربًا وسود وجهه وطاف به، فأعطاه عمر مائتي درهم وكتب إلى أبي موسى أن مر الناس يخالطوه ويجالسوه، وإن تاب فاقبل شهادته[٢١١].

هذه شذرات من العدل في الحكم وهو باب واسع، وعسى أن يكون في هذه تلخيص لما يتصل بموضوع العدل منه.

العدل الاجتماعي:

ويطلق بعضهم عليه لقب التكافل الاجتماعي وتدور بحوثهم تحت هذا الاسم وقد عرف العرب في جاهليتهم ضروبًا من العدل الاجتماعي،ويدخل تحته الكرم والبذل والعطاء، فكان كثير من أشرافهم يحملون الكَلّ ويعينون الضعيف، ولما كان الوازع الديني بالثواب والعقاب الأخروي منتفيًا فقد بعثت بواعث أخرىعلى ذلك

---

[٢٠٩] سورة المائدة: الآيتان ٣٣ -٣٤.

[٢١٠] العبد، عبد اللطيف محمد: الأخلاق في الإسلام، ص ١٥٧.

[٢١١] السيد الجميلي: مناقب أمير المؤمنين عمر، ص ١٣٣.

www.mtenback.com

البذل مثل الذكر الحسن الذي يرفع من شأن صاحبه، فيبقى مخلداً له بعد مماته، وكأن الله قد طبع فيهم خلالاً من مكارم الأخلاق يَعُدُّهم بها لحمل الرسالة الخاتمة. يقول حاتم الطائي[٢١٢]:

أَمَاوِيَّ إِنَّ المَالَ غَادٍ وَرَائِحٌ ... وَيَبْقَى مِنَ المَالِ الأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

وأحسن ما يكون البذل والكرم عند اشتداد الزمان،وإمساك السماء قطرها فتغبر الأرض، فحينئذ لا يقاسم الكريم الفقراء ماله فحسب بل يعطيهم كل ما عنده ويبقى هو جائعًا حتى يهزل كما قال عروة بن الورد[٢١٣]:

وإِنِّي امْرُؤٌ عَافِي إِنَائِيَ شِرْكَةٌ ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ

أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَقَدْ تَرَى ... بِجِسْمِي مَسَّ الْحَقِّ وَالحَقُّ جَاهِدُ

أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيْرَةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بَارِدُ

ومن ذلك القصة التي روتها ماوية عن حاتم الطائي في سنة شديدة أصابتهم، اقشعرت لها الأرض، قالت: إنا لفي ليلة صنبر [باردة] بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغى صبيتنا جوعًا فقام حاتم إلى الصبيين، وقمت أنا إلى الصبية، وأقبل يعللني بالحديث، فعرفت ما يريد فتناومت، فلما تهورت النجوم إذ شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد فقال حاتم: من هذا؟ قالت: جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب، فما وجدت معولاً إلا عليك يا أبا عدي. فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم. فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها، فقام حاتم إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر ثم كشطه عن جلده، ودفع المدية إلى المرأة فقال لها: شأنك!

---

[٢١٢] حاتم الطائي، أبو عدي بن عبد الله بن سعد: ديوان حاتم، تحقيق د: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص٨٣.

[٢١٣] الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني، طبعة مصورة عن دار الكتب، بيروت، (د.ت)، ٤٧/٣.

www.mtenback.com

فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتًا بيتًا فيقول: هبوا أيها القوم، عليكم النار. فاجتمعوا، والتفع بثوبه وجلس ناحية ينظر إلينا، والله إن ذاق منه مزعة، وإنه أحوج إليه منا، فأصبحنا وما على ظهر الأرض من الفرس إلا عظم أو حافر فأنشأ حاتم يقول[٢١٤]:

مَهْلاً نَوَارُ أَقِلِّي اللَّوْمَ وَالعَذَلا ... وَلاَ تَقُولِي لشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلا

وَلاَ تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلاً وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الجنَّ وَالخَبَلاَ

يَرَى البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً ... إِنَّ الجَوادَ لَهُ فِي مَالِهِ سُبُلا

ودلالة القصة على إغاثة الملهوف والشعور بآلام الآخرين، وهما من سبل تحقيق العدل الاجتماعي، فوق دلالتهما على الكرم وحده، فالفرس تعني للرجل في صحرائه ما تعني، فهو يضن بها على عياله ونفسه، ويريدهم أن ينأموا جائعين، ولكن حاجة غريب ضعيف التجأ إليه سمحت بها نفسه كلها، ولم يذق منها شيئًا.

وكانوا يبحثون عن كل وسيلة من وسائل بذل الطعام للمحتاجين حتى يجدوا وسيلة للتكافل الاجتماعي، فكانوا ينحرون الجزور ثم توزع على الفقراء، ويطعم منها الجياع وإلى ذلك أشار النابغة[٢١٥]:

إِنِّي أُتَمِّمُ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُم ... مَثْنَى الأَيَادِيْ وَأَكْسُو الْجَفْنَةَ الأَدَمَا

ويقول لبيد[٢١٦]:

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا ... بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيْرانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا

---

[٢١٤] جاد المولى، محمد وآخران: قصص العرب ١٦٣/١ والأبيات في ديوان حاتم: ص١٠٤، وديوان النابغة، ص٦٣.

[٢١٥] ديوان النابغة ص٦٣، وأتمم أيسارى أي: حين يعجزون عن إكمال ثمن الجزور يكمله لهم سماحًا.

[٢١٦] القرشي؛ جمهرة أشعار العرب، ص٢٦٥.

www.mtenback.com

فَالضَّيْفُ وَالجَـارُ الجَنِيـبُ كَأَنَّمـا هَبَطَـا تَبَالَـةَ مُخْصِبًـا أَهْضَامُهـا

وقد حاول الصعاليك تحقيق جانب من العدل الاجتماعي بطريقتهم الخاصة باتباع أسلوب السلب والنهب، أو ما سماه بعض الباحثين بالثورة الاقتصادية المتمثلة في حياة عَروة بن الورد تلك الثورة التي تدفعه لمهاجمة الأغنياء والبخلاء ليوزع ما يغنمه منهم على الفقراء[٢١٧].

وكان الصعاليك يرون مجتمعهم ظالمًا، توزع الثروة فيه على نحو جائر، فليس من العدل أن يكون لأحد أفراده عدد ضخم من الإبل في حين لا يملك الآخر غير حبل يجره لا بعير فيه، وما هذه الإبل التي يملكها هذا الشخص سوى إبل خلقها الله للناس جميعًا، فهي ليست حقًا له وحده دون غيره[٢١٨].

فالصعاليك يريدون إعادة توزيع الثروة، ولكنهم اعتمدوا على الغارة بفنونها في المراوغة، والتخطيط للإفلات، والعدو والقتال. وفي أخبار الشنفرى وعروة بن الورد وتأبط شرًا أمثلة كثيرة على ذلك[٢١٩].

يقول تأبط شرًا يصف نجاته من بجيلة عاديا[٢٢٠]:

نَجَوْتُ مِنْها نَجَائِي مِنْ بَجِيلَةَ إِذْ أَلْقَيْتُ لَيْلَةَ خَبْطِ الرَّهْطِ أَوْرَاقِي
لاَ شَيْءَ أَسْرَعُ مِنِّي لَيْسَ ذَا عُذَرِ وَذَا جَنَاحٍ بِجَنْبِ الرِّيْدِ خَفَّاقِ
حَتَّى نَجَوْتُ وَلَمَّا يَنْزِعُوا سَلَبِي بِوَالِهٍ مِنْ قَبِيْصِ الشَّدِّ غَيْدَاقِ

ويقول عروة بن الورد في المعنى نفسه[٢٢١]:

---

(٢١٧) خليف، يوسف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. دار المعارف بمصر، ط٢، (د.ت)، ص٣٧.

(٢١٨) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك ص ٤٦.

(٢١٩) الأصفهاني، أبو الفرج،: الأغاني ج٣، ص٧٣- ٨٨ وج١، ص٨٨، ج١، ص٨٣، ٢٠٠ -٢٠١.

(٢٢٠) المفضل الضبي: المفضليات ص٢٨.

(٢٢١) القرشي: جمهرة أشعار العرب ٤٥٤-٤٥٥

www.mtenback.com

مُطِـلاً عَلَـى أَعْدَائِـهِ يَزْجُرُونَـهُ بِسَـاحَتِهِمْ زَجْـرَ المَنِيْـحِ المُشَـهَّرِ

إلى أن يقول:

فَيَوْمًا عَلَى نَجْدٍ وَغَـارَاتِ أَهْلِهَـا وَيَوْمًا بِأَرْضٍ ذَاتِ شَـتٍّ وَعَرْعَـرِ

وإذا كان الصعاليك قد انتهجوا هذا النهج في العصر الجاهلي فإن حياة العرب قد ارتقت بعد الإسلام، ودخل فيها الوازع الديني، فصار تقسيم الثروة معتمدًا على أسس جديدة عما عرفوه من قبل، فحض الإسلام على الكرم أيضًا، وأثنى على الكرماء، وجعلهم ممن يحبون مكارم الأخلاق، ثم شرع شرائع كثيرة لتحقيق التوزيع العادل للمال.

وليس في حياة الناس أشدّ من فتنة المال والحسد عليه، والتنافس فيه، والحرص على كسبه، فإذا جار المجتمع في توزيع الثروة وظهرت الفوارق الكبيرة بين الأغنياء والفقراء كان هناك خلل ظاهر في بنية المجتمع. وترتب على هذا الخلل العداوة بين الغني والفقير، والقادر على أخذ المال والعاجز عنه، كما أن المجتمع الذي لا يتيح لأبنائه الفرص المتساوية في الكسب والعمل ومرافق الحياة العامة يعد مجتمعًا جائرًا عن العدل بعاداته وقوانينه وأنظمته وهو بالتالي مجتمع لا يستقيم له شأن في الحياة، وقد يدفع جوره عن العدل بين أبنائه إلى عدوان بعضهم على بعض وحرب بعضهم بعضًا. وقد حرصت الشرائع الدينية والقوانين الاجتماعية على ضبط سلوك الناس بتحقيق المساواة بينهم، وجاء المال في قمة الأولويات التي تهتم بها الأمم، وليس أدلّ على أهمية المال والتسوية فيه مما جاء في القرآن الكريم من نصوص كثيرة تحدد مصارف المال وتعدل في إنفاقه وتأمر بالعدل وتضع لكل عمل جزاء مقابلاً من الكسب أو المنع. وقد جاء في الشريعة تفصيل المواريث وتحديد أنصبتها حتى لا يترك مجالاً للخلاف الذي قد يحدث بين الأقرباء إذا لم يكن حق كل منهم معلومًا، وتحدث عن المعاملات وأطال في تفصيلها وحقوقها وحفظها والاهتمام بها وأمر بكتابتها حتى في السفر والإشهاد عليها.

www.mtenback.com

الزكاة والصدقات:

مما شرعه الله لتحقيق توزيع عادل للمال، الزكاة، فحدد أنصبتها، بل جعل في المال حقًا غيرها، يأخذه ولي الأمر ليمنع الضرر ويرفع الحرج ويصون الجماعة، وهذا الحق موكول لمصلحة الأمة، ولعدالة الإمام، وقواعد النظام الإسلامي[٢٢٢].

وحث على الإنفاق، واقترن الإنفاق في أكثر الآيات بالإيمان بالله والصلاة التي هي عمود الدين: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾[٢٢٣].

وجعل اجتياز العقبة إلى الجنة مقترنًا بفك الرقاب وإطعام الطعام يوم المسغبة، ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٢٢٤].

وجعل النبي ﷺ على كل مسلم صدقة؛ فيستوي الناس في البذل، كل بقدر ما يملك و كل بقدر ما يستطيع جاء في الحديث: «على كل مسلم صدقة. قالوا فإن لم يجد! قال:فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يستطع أن يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال:فيمسك عن الشر فإنه له صدقة»[٢٢٥].

وعاقب الله سبحانه أصحاب الجنة الذين امتنعوا عن الإنفاق والسير على سنة أبيهم بحرمان المساكين، فطمس جنتهم فأصبحت كالصريم، وعقب على ذلك بقوله: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾[٢٢٦].

---

[٢٢٢] قطب، سيد: العدالة الاجتماعية في الإسلام، انظر: ص ١١٠.

[٢٢٣] سورة إبراهيم: الآية ٣١.

[٢٢٤] سورة البلد: الآية ١١-١٦.

[٢٢٥] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٤٤٧/١٠ رقم ٦٠٢١.

[٢٢٦] سورة القلم: الآية ٣٣.

www.mtenback.com

ونهى سبحانه عن أن يكون المال دولة بين الأغنياء، وطبق ذلك عمليًا، فعندما أفاء الله على المسلمين من أموال بني النضير عرض الرسول ﷺ إلى الأنصار أمرين فقال لهم «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديارکم وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، و لم يقسم لكم شيء من هذه الغنيمة. فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة»[٢٢٧]. فأثنى الله تعالى عليهم في سورة الحشر بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٢٨].

يقول البهي الخولي: كان الرسول ﷺ يرمي بالعرض الأول إلى تذويب الفوارق، وبالعرض الثاني إلى تقريب الفوارق. وقد نزل الوحي بالأمر الثاني تقريبًا للفوارق[٢٢٩].

فلم يشأ المولى أن يذوبها تمامًا كما أرادت الشيوعية أن تفعل من بعد هذا فصادمت فطرة الله التي فطر الناس عليها، ونص سبحانه على هذا التقريب، بقوله: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ وهذا ضد ما تفعله أنظمة اقتصادية أخرى؛ فالإسلام لا يفرض المساواة في المال؛ لأن تحصيله تابع لاستعدادات غير متساوية[٢٣٠].

ولقد طبق عمر بن الخطاب هذه النظرة [تقريب الفوارق، ومنع تكديس الثروة] كأحسن ما يكون التطبيق، إذ لما فتحت العراق ومصر أراد الجنود الفاتحون أن تقسم عليهم الأرض المفتوحة كما قسم الرسول ﷺ خيبر على المسلمين، ولكن عمر،

---

[٢٢٧] الزمخشري: الكشاف ٤/ ٥٠٥ في تفسير الآية ٩ من سورة الحشر.

[٢٢٨] سورة الحشر: الآية ٩.

[٢٢٩] الخولي، البهي: الثروة في ظل الإسلام، دار الاعتصام، ط٣، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص١١٨.

[٢٣٠] انظر: سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص ٨٤.

www.mtenback.com

بثاقب نظره، رأى أن ذلك يؤدي إلى تضخيم الملكية في أيدي جماعة يتوارثونها، ويحرم من يأتي بعدهم، فيكون الثراء الفاحش في طبقة، والفقر المدقع في غيرها، واختلف الصحابة في ذلك، فكان الزبير يقول لعمرو بن العاص لتقسمنها كما قسم رسول الله خيبر، وكان بلال وطائفة معه يصرون على القسمة، حتى قال عمر رضي الله عنه اللهم اكفني بلالاً وذويه، قال أبو عبيد: فما حال الحول ومنهم عين تطرف، وكان يبين لهم وجهة نظره: «تريدون أن يأتي آخر الناس ليس لهم شيء» ويقول: «لولا آخر الناس ما افتتحت قرية إلا قسمتها»[٢٣١] وكان يناصره في موقفه علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، فصارت الأرض ملكًا لأصحابها، وضرب عليهم الخراج، وهكذا آلت ملكية الأرض للدولة.

وسار المسلمون في الأندلس سيرة تختلف عن سنة عمر، وهي تقسيم الأرض الزراعية بين فلاحيها الذين كانوا محرومين من تمليك الأرض، وقد أقرّ المستشرقون بأن الإسلام أنقذ الطبقات الدنيا من ظلم الإقطاعيين وتحكمهم، وحررهم من سلطة الإقطاعيين الأقوياء. يقول بعضهم: لقد كان الفتح العربي حسنة بالنسبة لإسبانيا، فقد حقق ثورة اجتماعية ذات أهمية بالغة... وزعت الأراضي المصادرة بين عدد كبير من أفراد الطبقات المستغلة المظلومة، وكان تحقيق الملكيات الصغيرة مصدرًا للسعادة، وسببًا لازدهار الزراعة في إسبانيا[٢٣٢].

ولتحقيق العدالة التامة أوصي كل إنسان أن يبدأ بالأقربين، ثم يتداح في أعطياته لمن يلونهم من الجيران ثم الأبعد فالأبعد حتى يصل إلى ابن السبيل المنقطع[٢٣٣]؛ لأن كل فرد إذا عاد على أقاربه اكتفت المجموعة، ولم يبق محتاج إلاسدت خلته وتحقق العدل الاجتماعي المنشود.

---

[٢٣١] أبو عبيد: كتاب الأموال ص ٣٢، وانظر: البهي الخولي: الثروة في ظل الإسلام ص ١١٩، ١٢٠

[٢٣٢] الشرقاوي، محمود: العدالة الاجتماعية عند العرب، ص ٩٥، ٩٦.

[٢٣٣] ذكر هذا في الآية ٢١٥ من سورة البقرة والآية ٣٦ من سورة النساء.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرعي بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ... الآية﴾	٥٩	٢٢
	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... الآية﴾	١٤٣	١٢
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ... الآية﴾	١٩١	٤١
	﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ... الآية﴾	١٩٤	١١
	﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ... الآية﴾	٢٥١	٥٨
	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا... الآية﴾	٢٧٥	٥٦
	﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ... الآية﴾	٢٧٩	٥٤
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى... الآية﴾	٢٨٢	٥١
النساء	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى... الآية﴾	٣	٤٩
	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ... الآية﴾	١٠٥	٧٠
	﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ... الآية﴾	١٢٩	٤٩
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ... الآية﴾	١٣٥	١١٥
المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ... الآية﴾	٨	١٥
	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... الآية﴾	٣٣	٧٨
	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ... الآية﴾	٤٤	٥٧
	﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ... الآية﴾	٤٧	٥٨
	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا... الآية﴾	٤٨	٥٨
	﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا... الآية﴾	٩٥	٧
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ... الآية﴾	١٠٦	٥٢
الأنعام	﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ... الآية﴾	١	٩
	﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا... الآية﴾	٧٠	٨
	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى... الآية﴾	١٥٢	٨
الأعراف	﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾	١١١	٧٥

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
هود	﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ... الآية﴾	٨٤	٥١
	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا... الآية﴾	٩٤-٩٥	٥٢
يوسف	﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا... الآية﴾	٧٩	٤٣
إبراهيم	﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ... الآية﴾	٣١	٨٣
النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ... الآية﴾	٩٠	١١، ١٥
	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ... الآية﴾	١٢٦	٤١
الإسراء	﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ... الآية﴾	٩٢	٥٣
الحج	﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ... الآية﴾	١٠	١٩
غافر	﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى... الآية﴾	١٨	٢٢
الشورى	﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ... الآية﴾	١٥	١٥
الجاثية	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ... الآية﴾	١٥	١٠
الأحقاف	﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا... الآية﴾	٢٠	٥٤
الحجرات	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... الآية﴾	٩	٥٠
	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى... الآية﴾	١٣	٤٣
ق	﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ... الآية﴾	٩	١٩
الحديد	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا... الآية﴾	٢٥	١٤
الممتحنة	﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ... الآية﴾	٨	٨
الحشر	﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ... الآية﴾	٧	٨٤
	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ...الآية﴾	٩	٨٤
القلم	﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ... الآية﴾	٣٣	٨٣
الجن	﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا... الآية﴾	١٥	٩
الانفطار	﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ... الآية﴾	٧	٧
المطففين	﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ... الآية﴾	٧	٥١
البلد	﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ... الآية﴾	١١-١٦	٨٣

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أتشفع في حد من حدود الله »	٤٤
«أحب الناس إلى الله»	١٦
«إذا كان يوم القيامة»	٢٢
«أشهد على هذا غيري»	٤٩
«أفضل الجهاد»	٢٣
«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»	٥٢
«ألا إنما أنا بشر»	٧٠
«إنّ لبدنك عليك حقاً»	٤٨
«إنّ النّاس إذا رأوا الظالم»	٢٣
«إنّ المقسطين»	٢٣
«عليكم بالصدق»	٥٣
«على كل مسلم صدقة»	٨٣
«لتؤدن الحقوق»	٢٠
«لقد شهدت»	٢٤
«لكني أصوم وأفطر»	٤٨
«المسلمون شركاء»	٤٤
«يا رسول الله هذا ننصره ظالماً»	٢٨
«يا عبادي»	١٩
«يؤتى بابن آدم»	٢٠

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
أتهزأ بالدعاء	الدعاء	ـ	٣	٢٢
هدمت	إزاء	عوف بن الأحوص	٥	٣٨
		ـ ب ـ		
متى يغترب	مغضبا	الأعشى	٢	٢٩
وأعطاه	ومغرب	الفرزدق	١	٣٢
جانيك	الجرب	ـ	٢	٤٢
		ـ ت ـ		
لبست	هفوت	أزيرق اليمامة	٢	٢٦
		ـ د ـ		
كنت الصحيح	غدا	ـ	٢	٢١
وبالعدل	فاحمد	عدي بن زيد	١	٢٦
وظلم	المهند	طرفة	١	٢٧
هل يسود	عتيد	سعد بن زيد مناة	١	٢٨
ليس زين الفتى	التليد	جندب بن العنبر	١	٢٨
لا تظهرن	أو أحمد	أوس بن حجر	١	٣٣
يا خير منتصف	البلد	امرأة	٣	٧٧
من دون	الكبد	المأمون	٣	٧٧
إني امرؤ	واحد	عروة بن الورد	٣	٧٩
كنت الصحيح	غدا	ـ	٢	٢١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فلا ينحلل	عقده	أبو الطيب	٣	٥٤
		— ر —		
على أن ليس	الخدور	مهلهل	١	٧
يا آل فهر	النفر	رجل من زبيد	٣	٢٥
ألم تعلمي	جائر	عامر بن الطفيل	١	٢٦
أما كليب	صدر	الأخطل	٣	٣١
لما بلغت	تهجيري	جرير	١	٣١
كم حل	إصر	الفرزدق	٣	٣٢
كأنا غدوة	مدير	المهلهل	١	٣٦
علقم	الواتر	الأعشى	٤	٣٧
يا صاحبي	جرير	الراعي	١	٣٩
وتستعدي	الأمير	—	٢	٧٢
أماوىّ	الذكر	حاتم الطائي	١	٧٩
مطلاً	المشهر	عروة بن الورد	٢	٨٢
فأنت	طهورها	الفرزدق	١	٣٢
		— س —		
لأسماء	فراكسا	العباس بن مرداس	٣	٣٥
		— ض —		
والخصم	القاضي	—	١	٦٨
		— ع —		
أبى الله	ضائع	النابغة	١	٣١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ق ـــ		
نهيتكم	أشفق	الأعشى	٢	٢٦
قد جرت	الحلوق	جساس بن مرة	٥	٢٧
ألم تر	فريق	المفضل البكري	١٠	٣٤
نجوت منها	أوراقي	تأبط شراً	٣	٨١
		ـــ ل ـــ		
صبحت	أن تميلا	–	١	٧
استأثر	الرجلا	الأعشى	١	٢٤
مهلاً	فعلا	حاتم الطائي	٣	٨٠
إذ الله	مقبل	النجاشي	٣	٣٠
ولولا أمير	فاصل	جرير	٣	٣٢
قربا	كأغلال	الحارث بن عباد	٢	٤٣
وقتلنا	فاعتدل	ابن الزِّبَعْرى	١	٨
أتاه	الخول	هذيل الأشعري	٥	٦٨
		ـــ م ـــ		
ولكن نصفاً	وهاشم	الفرزدق	١	٩
لا تظلمني	الندم	محمد بن سويد	٢	٢١
إن الفضول	ظالم	الزبير بن عبدالمطلب	٢	٢٥
يا أيها المرء	مظلوم	جندب بن العنبر	١	٢٨
ومن لا يذد	يظلم	زهير	١	٢٩
والظلم	لا يظلم	أبو الطيب	١	٢٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أمير المؤمنين	الحراما	جرير	٢	٣٢
ومدجج	مستسلم	عنترة	٢	٣٣
منا الذي	الإسلام	أدهم الطائي	١	٦٢
إني أتمم أيساري	الأدما	النابغة	١	٨٠
وجزور	أجسامها	لبيد	٣	٨٠
ـــ ن ـــ				
لنا الدنيا	قادرينا	عمرو بن كلثوم	٣	٢٩
ألا حييت	علينا	عبدالشارق الجهني	٣	٣٥
يا ذا العباءة	النشوان	جرير	٢	٣٩
ـــ هـ ـــ				
قد أنصف القارة	راماها	رجل من بني القارة	٣	٣٧
فتن	إليها	–	٤	٦٩
ولحن العادلون	الرعية	عنترة	٢	٢٦

موقع الدكتور مبروك بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«انصر أخاك ظالماً أو مظلوما»	٢٧
«في بيته يؤتى الحكم»	٦٠
«قد أنصف القارة من راماها»	٣٦
«قد يؤخذ الجار بحق الجار»	٤٢

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

إبراهيم، أحمد عبدالرحيم:

الفضائل الخلقية في الإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ.

الأحيدب، عبد العزيز محمد:

نزهة الألباب في المحاسن والآداب، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ.

الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث التغلبي:

ديوانه، تحقيق: د. فخرالدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٠م.

الأشعر، عمر سليمان:

الربا وأثره في المجتمع الإنساني مكتبة الفلاح، الكويت، بلا تاريخ.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد:

الأغاني، طبعة مصورة عن دار الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب:

الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٥، بلا تاريخ.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوانه، تحقيق: كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني، ط الأولى، بلا تاريخ.

الألباني، محمد ناصر الدين:

صحيح سنن ابن ماجة، مكتبة التربية لدول الخليج والمكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

www.mtenback.com

أمين، أحمد:

كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

أوس بن حجر:

ديوانه، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، موسوعة السنة، دار سحنون استانبول، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

البغدادي، عبدالقادر بن عمر:

خزانة الأدب ولب لباب الألسن، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي الرياض، بلا تاريخ.

الترمذي، محمد بن عيسى:

صحيح الترمذي بشرح الإمام أبي بكر بن العربي، مطبعة الصاوي، مصر، ط١، ١٩٣٤م.

جرير بن عطية بن حذيفة بن الخطفي:

ديوانه، دار صادر، بيروت. بلا تاريخ.

حاتم الطائي، أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد:

ديوانه، تحقيق: د. فوزي عطوي، الشركة العربية للكتاب، بيروت، ١٣٧٩هـ.

الحافظ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي:

مختصر سنن أبي داود، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.

www.mtenback.com

ابن حبيب، أبو جعفر محمد البغدادي:

المُحَبّر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٦١هـ/١٩٤٠م.

الحميضي، عبدالرحمن إبراهيم:

القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

الخالديان، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد بنا إبراهيم:

الأشباه والنظائر، تحقيق: د. سيد محمد يوسف، القاهرة، ١٩٥٨م.

الخزندار، محمود محمد:

هذه أخلاقنا حين نكون حقاً مؤمنين، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط الأولى ١٤١٦هـ.

خليف، يوسف:

الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٢، بلا تاريخ.

الخولي، البهي:

الثروة في ظل الإسلام، دار الاعتصام، ط ثانية، ١٣٩٨هـ.

الدجوي، أحمد سعيد:

فتح الخلاّق في مكارم الأخلاق، تحقيق: عبدالرحيم ماردييني، مكتبة المحبة، دمشق، ط١، ١٤١١هـ.

درادكة، ياسين أحمد إبراهيم:

الميراث في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، عمان، الأردن، بلا تاريخ.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر ضياء الدين:

التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ١٤١٠هـ

www.mtenback.com

الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد:

مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

ابن رشيق، أبو الحسن علي القيرواني:

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ.

الزبيدي، المرتضى محمد بن محمد بن محمد الحسيني:

تاج العروس، دار ليبيا، بنغازي، بلا تاريخ.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

الكشاف، رتبه وضبطه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

السبليخي، سيد:

نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مصر، بلا تاريخ.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر:

الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ.

السيد الجميلي:

مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

الشرقاوي، محمود:

العدالة الاجتماعية عند العرب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

الشيخ، عبدالستار:

عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين، دار القلم، دمشق، ط١،

www.mtenback.com

١٤١٢هـ.

الصابوني، محمد علي:

المواريث في الشريعة الإسلامية، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٥هـ.

صفدي، مطاع وآخرون:

موسوعة الشعر الحاملي، مؤسسة الصباح، ط١، ١٤٠٠هـ.

صقر، عطية:

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مؤسسة الصباح ط١، ١٤٠٠هـ.

طبارة، عفيف عبدالفتاح:

روح الدين الإسلامي، ط٦، ١٩٦٤م

الطبري، محمد بن جرير:

تفسير الطبري (جامع البيان)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف مصر، بلا تاريخ.

الطريفي، ناصر بن عقيل:

القضاء في عهد عمر بن الخطاب، دار الداني، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

طلفاح، خير الله:

كنتم خير أمة أخرجت للناس، دار الكتاب العربي، ط٥، ١٩٧٥م.

عاشور، عبدالفتاح:

الوصايا العشر، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

عامر بن الطفيل:

ديوانه، رواية أبي بكر الأنباري عن ثعلب، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩هـ.

www.mtenback.com

العبد، عبد اللطيف محمد:

الأخلاق في الإسلام، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، بلا تاريخ.

عبد الباقي، محمد فؤاد:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٩٨٢م.

عبد الله بن الزَّبَعْرى:

شعره، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية ١٤٠١هـ.

عنترة، بن شداد العبسي:

ديوانه، تحقيق: عبدالمنعم عبدالرءوف شلبي، القاهرة، بلا تاريخ.

أبو عبيد القاسم بن سلام:

كتاب الأموال، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨١م.

ابن عاشور، الشيخ محمد الفاضل:

كتاب الإشراق الإسلامي، الشركة التونسية للتوزيع، ط١، بلا تاريخ.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي:

العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، أحمد زين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:

إحياء علوم الدين، دمشق، بلا تاريخ.

الغزالي، محمد:

فقه السيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

www.mtenback.com

الغزي، محمد صدقي:

قدوة الحكام المصلحين عمر بن عبدالعزيز، مكتبة المعارف بالرياض، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

الفرّاء، يحيى بن زياد:

معاني القرآن، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ.

الفرزدق، همّام بن غالب بن صعصعة:

ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري:

عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، بلا تاريخ.

القرشي، أبوزيد محمد بن أبي الخطاب:

جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بلا تاريخ.

القرضاوي، يوسف:

ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

قطب، سيد:

- العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط٧، ١٣٨٦هـ

- في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، ط١٣، ١٤٠٧هـ.

الكاندهلوي، الشيخ محمد يوسف:

حياة الصحابة، حققه وعلّق عليه الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر:

تفسير القرآن العظيم، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

www.mtenback.com

كنون، عبدالله:

مفاهيم إسلامية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، بلا تاريخ.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب، مكتبة بيروت، بلا تاريخ.

المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين:

ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بلا تاريخ.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

تهذيب الأخلاق، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٦٦م.

مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج:

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مصر، ط٥، ١٩٥٥م.

المعلم، اللواء يحيى:

مكارم الأخلاق في القرآن، دار عكاظ للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي:

المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٣م.

الملا، أحمد علي:

عالمية الإسلام وإعداد المواطن الصالح، دمشق، بلا تاريخ.

المهلهل بن ربيعة:

ديوانه، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط١ ١٩٩٦م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بلا تاريخ.

www.mtenback.com

ابن مقبل، أبو كعب تميم بن أبي بن مقبل:

ديوانه، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، ١٣٨١هـ.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرّم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

ابن منقذ، أسامة:

لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر، ١٣٥٤هـ.

النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية:

ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.

نبوي، عبدالعزيز:

ديوان بني بكر في الجاهلية، دار الزهراء، القاهرة، بلا تاريخ.

نصار، محمد عبدالستار:

دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري:

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com